روائع الأدب العالمي للناشئين

هـ. ج. ويلز / ترجمة: صبري الفضل

مكتبة 2002 الأسرة

مهرجان القراءة للجميع 2002



أول رجال على سطح القمر

الهيئة المصرية العامة للكتاب

أول رجال على سطح القمر

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: انعدام الجاذبية الأرضية

التقنية: ألوان أقلام على ورق

المقاس: ١٧ × ٢٤ سم

محمود الهندى (١٩٤٣ -)

فنان تشكيلى أقام العديد من المعارض علي فترات متباعدة، ثم اختار أن يقيم معارضه داخل صفحات الكتب، وقدم تجربة جديدة فى الكتاب المصرى العربى حيث توازى إبداعه مع الأعمال الروائية والقصصية والشعرية فى متن كتاب واحد، وهى تجربة بدأها منذ أكثر من ربع قرن.

أشرف فنياً على عدة مجلات: القاهرة، بنت الشرق، اليسار، المسرح، فصول، تياترو، التشريع المالى والضريبى. واهتم فى الفترة الأخيرة بالأطفال (مجلة حمد القطرية)، وأنجز مجموعةمن كتب الأطفال لدور النشر المختلفة.

أول رجال
على سطح القمر

تأليف : هـ . ج . ويلز
ترجمة : صبرى الفضل
مراجعة : مختار السويفى

مهرجان القراءة للجميع
للطفل . للشاب . للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(روائع الأدب العالمى للناشئين)

أول رجال على سطح القمر
تأليف: هـ . ج. ويلـز
ترجمة: صبرى الفضل
مراجعة: مختار السويفى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ :
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د . سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقــافـة
وزارة الإعـلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزار ة الشـــباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيبًا فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيريًا رائعًا على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة».. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

مقـــدمة

ولد هربرت جورج ويلز ، كاتب هذه الروايـة ، فى ٢١ سبتمبر عام ١٨٦٦ ، فى بروملى بمقاطعة كنت بانجلترا ، وتوفى فى ١٣ أغسطس ١٩٤٦ بلندن .

شق طريقه ككاتب وروائى وصـحفى ومصـلح اجتماعى ومؤرخ ، وذاع صيته بسبب رواياته العلمية ، مثل : آلة الزمن (١٨٩٥) ، الرجل الخفى (١٨٩٧) ، حرب الكواكب (١٨٩٨) ، وبسبب كتابه المشهور فى التاريخ : موجز التاريخ (١٩٢٠) والـذى نقحـه فى (١٩٣١) .

كان ويلز من عائلة فقيرة ، وفى سن الرابعة عشرة

تدرب على العمل فى تجارة الاقمشة الصوفية · ولكنه عافها وتركها ليصبح معلما فى مدرسة ريفية صغيرة. فى سن السابعة عشرة · وعندئذ استطاع أن يستخدم عقله الى أن حصل على منحة لدراسة العلوم بلندن · وبالرغم من أنه فشل في الحصول على شهادة جامعية ، الا أن السنوات الثلاث التي قضاها هناك كونت رؤية علمية رومانسية لخياله ككاتب ، والتى كانت مصدر الهام لرواياته ·

ولما كان معلما غير مؤهل ، فكان مرتبه ضئيلا الى أن نجح فى الحصول على شهادته الجامعية بالانتساب ·

وفى هذه المرحلة من حياته كان هزيل الجسم ، مريضا بمرض صدرى وكانت بداياته الأولى فى كتابة الرواية غير ناجحة · وقد تزوج من « ايزابل » وهى قريبة له ، ومن طبقته الاجتماعية المتواضعة ·· وكان زواجا كليلا أكثر منه تعيسا ·

وعندما هدد المرض حياته ، قرر ترك وظيفته المملة ، بل وزواجه غير الموفق ، ليقوم بمحاولة أخيرة

فى مجال التأليف ، قبل وفاة مبكرة الآوان ، ولــكى يحقق ما يصبو اليه في العثور على شريكة مثالية لحياة زوجية ناجحة ، فهرب مع احدى تلميذاته التى أصبحت فيما بعد زوجته الثانية واما لاثنين من أولاده ٠

ومدفوعا بضرورة الانفاق على بيتين ، هجر منهج التقليد في الكتابة ، وأصبح فورا صحفيا ناجحا ، وكاتب قصة قصيرة ، وصاحب أسلوب فكاهى مفعم بالحيوية ونصيرا لمجال جديد نسبيا ، وهـــو قصص الخيـــال العلمى ٠ وفى غضون سنة واحدة ، كتب قصة آلــة الزمن ، فلاقت نجاحا مدويا ، وأعقبها بعدة قصص رائعة فى الخيال العلمى ، منها تحفته المشهورة « حـــرب الكواكب » ٠ وبعدها ترك الصحافة وعاش فى الريف ليتفرغ لكتابة قصصه ٠

وتحسنت صحته بسبب جو الريف والرياضة مع التخلص من القلق بشأن المشاكل المالية ، وكتب أعمالا عديدة ناجحة منها :

أول رجال على سطح القمر (١٩٠١) ، طعـــام الآلهة وكيف جاءت للأرض (١٩٠٤) ، كيبس : قصة

روح بسيطة (١٩٠٥) الحرب في الهواء (١٩٠٨) ، آن فيرونيكا (١٩٠٩) ، تاريخ مستر بوللى (١٩١٠) ، ماكيافيلى الجديـــد (١٩١١) ، الزواج (١٩١٢) ، العطلة (١٩١٥) ، روح المطران (١٩١٧) ، جـــوان وبيتر (١٩١٨) ، شكل الأشياء القادمة (١٩٢٣) ، لاعب الكروكيت (١٩٣٦) ، الاخوة (١٩٣٧) ، الرعب المقدس (١٩٣٩) وغيرهـــا من الروايـــات والقصص القصيرة ، هذا بالاضافة الى أعماله التاريخية والاجتماعية التي حولته من معلم معدم الى معلم للانسانية جمعاء ٠

لقد نشأ الأدب العلمي من حاجة الناس الى استكشاف العوالم الأخرى ومحاولة الاتصال بها ٠ وفي روايـــة « أول رجال على سطح القمر » شطح خيال ويلز كثيرا كما سنرى ٠٠ والاستكشاف والاتصال جبلة انسانيـــة فطر الله الناس عليها ٠٠ وظل الانسان يتساءل : هــل هناك حياة أخرى فى كواكب أخرى غير كوكب الأرض ؟!

ومنذ اطلاق القمر الصناعي الأول في عـــام ١٩٥٨ ، تم اطلاق المئات من مركبات الفضــــاء المأهولـــة وغير المأهولة ٠ وبعض هذه المركبات يوجه أجهزته نحـــو

الأرض ، بينما تعمل أخرى على مراقبة الكون عن كثب ، وتمر مركبات أخرى أيضا قرب أجرام سماوية نائية ، مثل المشترى وزحل ، لاجراء قياسات دقيقة لها . وقد كشفت نتائج هذه الرحلات الفضائية آفاقا جديدة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا .

وقد فتحت رحلات أبوللو التاريخية التى هبطت فيها مركبات على سطح القمر مجالا آخر للبحث ، وقام ملاحو الفضاء لهذه الرحلات بتركيب مراصد لقياس سطح القمر وخصائصه الداخلية ، وعادوا الى الأرض حاملين معهم الكثير من الصخور والمواد القمرية .

ولقد كان القمر مرشحا فى الذهن الانسانى لأن يكون مسكونا ... فتأثر خيال الكتاب الروائيين بذلك ... ولكن ، أليس من المحتمل وجود كواكب كالأرض فى مجرتنا أو فى مجرات أخرى .. كواكب تتوافر فيها شروط الحياة مثل الماء والهواء ؟ .. والجواب أن هذا محتمل جدا .. ان الحياة مبدأ كونى عام ، وليست ميزة أرضية خاصة .. والله تعالى وحده هو الذى يعلم بحقيقة الوضع فى هذه النجوم والكواكب التى يذخر

بها الكون ... وان كان الانسان يحـــاول الاتصال ولا يكف عن البحث ..

وهذا هو الانسان فى بداية القرن .. والآن ... وفى المستقبل .

المترجم

الفصل الأول

مستر بدفورد يقابل مستر كافور في لايمبن

عندما أجلس لأكتب هنا ، بين ظلال أوراق الكروم الخضراء ، تحت السماء الزرقاء لجنوب ايطاليا ، تصيبني الدهشة وأنا أفكر أن انخراطي في مغامرات مستر كافور المذهلة كانت نتيجة للصدفة المحضة .

لقد ذهبت الى بلدة لايمبن لأني تخيلتها أكثر الأماكن بعدا عن الأحداث في العالم . وكان هذا الكتاب هو الثمرة .

كنت شابا صغيرا في تلك الأيام معتزا بقدرتي في

عملى ، فقمت بمجازفات جريئة ، وكانت نتيجتهـا أننى غرقت فى الديون • ولكى أسدد هذه الديون قررت أن أكتب مسرحية •• فاستأجرت بيتا خشبيا صغيرا فى قرية لايمبن المنعزلة حيث تعشمت أن أعمل بلا ازعاج •

كان بيتنا من طابق واحد يقع على حافـــة جرف صخرى مواجه للبحر • وعندما يكون الطقس ممطـرا يصبح المكان موحلا ، ويكاد لا يقصده أحد •

وكانت النافذة التى أعمـل بجـانبها تطل على مستنقع ، وهى نفس النافذة التى من خلالها وقعت عيناى على كافور لأول مرة • كانت الشـمس قد غـربت والسماء ساطعة الاخضرار والاصفرار ••• وظهر شبحه قادما من هذا الأفق •• شبح لأغرب قوام صغير •

كان رجلا قصيرا ممتلئا ، مرتديا قلنسوة لعبـه الكريكيت ، ومعطفا وسروال راكبى الدراجات وجوربـا طويلا •• لماذا كان يرتدى هكذا ؟ •• لا أدرى ، لأنه لم يركب دراجة فى حياته ، كما أنه لم يلعب الكريكيت مطلقا • وقام بحركات غريبة بيديه وذراعيه ، ونخـع رأسه يمينا ويسارا •• وعندما جاء فى مواجهة الشمس

الغاربة بالضبط ، توقف ، وسحب ساعته وتردد ..
ثم استدار وتراجع مسرعا .

حدث هـــذا فى اليوم الأول لوجـودى في البيت الخشبى الصغير ، عندما كانت طـــاقتى فى الكـــتابة المسرحية في أعلى قمة لها ، واعتبرت ذلك ببساطة انه اعاقة مزعجة .. اهدارا لخمس دقائق ، عدت بعدهــا الى مسرحيتى . ولكن عندما تكرر نفس الأمر يوما بعد يوم ، أصبح التركيز فى المسرحية يحتاج مجهـــودا ضخما ، فلعنت الرجل بكل اخلاص .

ثم تحول ضيقى الى دهشة وفضول . لماذا يقــوم اى انســان بعمل ذلك ؟ وفى الأمسية الرابعة عشرة لم يعد في مقدورى احتمال ذلك ، وحينما ظهر فتحت باب الشرفة وعبرتها مسرعا ، واتجهت الى الموضع الذى يقف فيه عادة .

وعندما جئت اليه ، كـــان قد أخـــرج ساعته ، فقلت له وهو يستدير :

ـ لحظة واحدة يا سيدى .

فجفل وقال :

ـ لحظة واحدة ، بالتأكيد : واذا رغبت في التحدث معي مدة أطول ، فهل يزعجك أن تصطحبني ؟

فقلت وانا أمتثل بجانبه :

ـ أبدا ، على الاطلاق !

ـ ان عاداتي منتظمة . ووقتي لمخالطة الآخـرين محدود .

ـ هذا ، على ما أعتقد ، هو وقت تريضك ؟

ـ هو كذلك . انى أحضر الى هنا لأستمتع بغروب الشمس .

ـ أنت لا تفعل ذلك .

ـ سيدى ؟

ـ انك لا تتطلع اليها أبدا .

ـ لا أتطلع اليها أبدا ؟

ـ لا ، لقد راقبتك مـدة ثلاث عشرة ليـلة ، ولم

تتطلع ، ولا مرة واحدة ، الى غروب الشمس ·· ولا مرة واحدة ·· !

فعبس وكانه يواجه مشكلة ، وقال :

ـ حسن ، انى أستمتع بنور الشمس ··· والجو ··· واسير فى هذا الطريق · عبر تلك البوابة ··

ثم اثار رأسه فوق كتفه واضاف قائلا :

ـ واتجـــول ····

ـ أنت لا تفعل · انك لم تفعل مطلقا ··· الليلة مثلا ···

ـ أوه ! الليلة ! دعنى أتذكر · آه ! عندما تطلعت الى ساعتى ، لاحظت أنى قد تأخرت ثلاث دقائق فوق النصف ساعة المحدد ، فقــررت أن الوقت لا يســـمح بالتجول ، واستدرت ···

ـ انك تفعل ذلك دائما ·

فتطلع الى مفكرا ، وقال :

ـ ربما .. والآن سأفكر في هذا الأمر ولكن ما هو الأمر الذى أردت أن تحدثنى عنه ؟

ـ انه هذا الأمر !

ـ هذا الأمر ؟

ـ نعم ، لماذا تفعل ذلك ! تأتى كل مساء وتقوم بحركات غريبة ..

ـ حركات غريبة ؟

ـ نعم ، هكذا !

وقلدت حركاته وهو يدير رأسه فوق كتفه

فتطلع الى وسألنى :

ـ هل أفعل ذلك ؟

ـ كل مساء !

ـ لم يكن لدى أدنى فكرة . بل يمكن أن أكون قد

كونت عادة وتاصلت في دون أن أدرى ؟ ان عقلى مشغول أكثر من اللازم • هل هذه الأمور تضايقك ؟

فقلت :

ــ لا تضايقنى ، ولكن •• تخيل نفســـك تكتب مسرحية !

ــ لا أستطيع •

ــ حسن ، أى شىء يحتاج الى تركيز •

فقال :

ــ آه ! طبعا •

واستغرق فى التأمل ، وارتسم على وجهه تعبيــر حزن وأسى ، الشىء الذى جعلنى أقلل من صرامتى نحوه ، **وقال :**

ــ يجب أن أوقف الأمر • لقد أصبحت شــــارد الذهن بشكل مضحك وسخيف • سوف ينتهى الأمر • والآن يا سيدى ، لقد أطلت عليك وأتعبتك أكثر ممــا يجب •

ـ أتعشم الا يكون كلامى قد ضايقك ..

ـ اطلاقا ، يا سيدى ، إطلاقا . اننى ممتن جدا لك .

ورفعت قبعتى وحييته متمنيا لــه أمسية طيبة فأجاب بهزة من رأسه ، وهكذا ذهب كل منا فى طريقه .

ولم أره فى الأمسية التالية ولا التى تليها . ولكن فى اليوم الثالث قام بزيارتى ، وأخبرنى أنه كان يمر أمام بيتى لمدة سنوات ، وأننى قد جعلت ذلك مستحيلا ، وأنه منشغل ببحث علمى هام جدا يتطلب نشاطا عقليا وصفاء ذهنيا على الدوام . وان نزهته المسائية كـانت أعظم اشراقاته ، الى أن أعقتها له . واقترحت عليه أن يحاول التفكير فى مكان آخر ، **فقال :**

ـ لا ، لقد سألت ، ليس هناك مكان آخر !

فقلت :

ـ ولكن لماذ لا تمر فى شكون ؟

ـ سيختلف كل شىء ، فلا بد ان افــكر فيــك

منهمكا في مسرحيتك .. وترقبني منزعجـــا ، بدلا من تفكيرى فى عملى .

وخطر لى ان أعرف المزيد عن هذا البحث كنوع من الراحة من كتابة المسرحية ، فسألته عن معلومات تفصيلية أكثر . وتحدث ما يقرب من ساعة ، ويجب أن أعترف أنني وجدت من الصعب جدا أن أفهم ما قاله .. كانت معظم الفاظه مصطلحات علمية غريبة كليـــة عـــلى ، وقلت له :

ـ نعم ، نعم ، استمر ..

واقتنعت أنه جاد في اكتشافاته . واخبـــرني أن لديه سقيفة كبيرة يعمل تحتها ، وثلاثة مساعدين قد قام هو بتدريبهم ، ودعاني لأزوره ووافقت عن طيب خاطر .

وأخيرا نهض لينصرف ، مع اعتذاره لطول زيارته، قائلا ، أن الحديث عن عمله متعة لا يستمتع بها الا نادرا، ولا يجد غالبا مستمعا ذكيا مثلى .

ـ لما لا تجعل ذلك عادتك الجديدة ؟ بدلا من تلك التي أفسدتها عليك ؟ لماذا لا تأتي ونتحدث عن عملك

معى ؟ وكن على يقين أن معرفتى ليست كافية لـــكى أسرق أفكارك ·· كما أننى لا أعرف أحدا من العلماء ··

ووقفت ، واخذ هو يفكر · وكان من الجـــلى أن الفكرة قد راقت له ، **فقال :**

ـ ولكني أخشى أن أثقل عليك ·

ـ هل تعتقد أننى لن أفهم ؟

ـ أوه ، لا ، ولكن الموضوعات التكنولوجية ···

ـ على اية حال ، لقد أمتعتنى جدا هذا المساء ·

ـ بالطبع سيكون ذلك مساعـــدة عظيمـــة لى ، فلا شىء يجلى الأفكار ويفسرها أكثر من شرحها · ولكن هل يمكنك أن تستغنى عن بعض الوقت ؟

فقلت :

ـ ليس هناك راحة مثل راحة تغيير المهنة ·

وانتهى الأمر عند هذا الحد ، وعلى سلم بشرفتي التفت **وقال :**

ـ انني مدين لك بشكل كبير ، لقد شفيتني تماما من حركاتي المضحكة !

فقلت له أنني سعيد لأقدم له أية خدمة ، وانصرف كل منا ، وما أن تركته حتى بدأت ذراعاه تلوحان بنفس طريقتهما السابقة ! .. ورأسه يدور فوق كتفه !

وجاء اليوم التالي ، واليــوم الذي يليه ، والقى محاضرتين في الفيزياء .. وكان الموضوع صعبا للغاية ، ولكني لا أعتقد أنه شك في قلة استيعابي له .

وفي أقرب فرصة ذهبت لرؤية منزله . كــان فسيحا ومؤثثا بشكل غير مدروس ، ولم يكن هناك خدم غير مساعديه الثلاثة . ولكن منظر معداته ازال كثيرا من الشكوك . وكانت الغرف الأرضية تحتوي عــلى أجهزة ومعدات ، وسخان المطبخ قد تطور الى فــرن كالأتون ، والمولدات موضوعة في القبو .

كان هدف ابحاث مستر كافور هو مادة لا تتأثر بجميع أشكال الطاقة المشعة . وحسب ما فهمت منــه فالطاقة المشعة هي أي شيء يشبه الضوء أو أشعة أكس

أو الجاذبية · كل هذه الأشياء ، كما قال ، تشع من المراكز وتؤثر على الأجسام عن بعد ، وحاليا تكاد لا تتأثر جميع المواد ببعض أشكال الطاقة المشعة · فالزجاج ، مثلا ، ينفذ منه الضوء ، ولكن الحرارة تنفذ منه بدرجة أقل ، وحجر الشب ينفذ منه الضوء ، ولكنه يعيق الحرارة فلا تنفذ منه اطلاقا ·

وحاليا فان جميع المواد المعروفة تتأثر بالجاذبية · ويمكنك ان تقطع الضوء أو الحرارة عن أى شيء ، ولكن لا شيء سيقطع جاذبية الشمس أو القمر · ومع ذلك ما معنى قول « ليس هناك مستحيل » · ان كافور لا يرى سببا فى عدم وجود مثل هذه المادة ، وبين لى بحسابات علي الورق انها ممكنة · وكانت تفكيرا صائبا، لكن يستحيل على أن انقله هنا · كل ما استطيع قوله انه كان يؤمن بأنه قد يستطيع صنع هذه المادة من خليط معقد من المعادن وعنصر جديد يدعى الهيليوم الذى ارسل اليه من لندن فى جرات حجرية محكمة الاغلاق ·

وأى شخص لديه أدنى قدر من الخيال سيفهم الامكانيات العجيبة لمثل هذه المادة · ومهما كان الوضع

الذى ستستخدم فيه فسوف تأتى فيه بالمعجزات ، فمثلا اذا أراد المرء أن يرفع ثقلا ، مهما كان مهولا ، فعليه فقط أن يضع لوحا رقيقا من هذه المادة تحت هـذا الثقل ، وسيرفعه بقشة . كانت فكرتى الأولى هى تطبيق هـذا المبدأ فى المدافع وكل أساسيات الحرب ، ومنها الى السفن وماكينات السكة الحديد ، وبناء كل شكل يمكن تخيله للصناعة . ومن بين الأمور الأخرى ، رأيت فيها فرصتى كرجل أعمال . فعقدت العزم مباشرة ، وكنت أعرف أنى أخاطر بكل شىء ، ولكنى اتخذ قرارى ، **وقلت مؤكـدا وبصيغة الجمع :**

ـ اننا على وشك صنع أعظم اختراع ظهر حتى الآن . اذا أردت أن تقصينى عن هذا الاختراع ، فعليك أن تفعل ذلك بقوة السلاح .. سوف أصبح المساعد الرابع لك من الغد .

بدا عليه الاندهاش من حماسى ، **ونظر الى بريبـة وقال :**

ـ ولكن هل تفكر حقا .. ومسرحيتك ؟ ما هو مصير تلك المسرحية ؟

فصرخت قائلا :

ـ لقد تلاشت ! يا سيدى العزيز ، ألا ترى مدى عظمة اختراعك ؟

لم ير ذلك . ولم أصدق أنا ذلك فى البداية ، ولم تكن لديه أدنى فكرة . ان هذا الرجل صغير الحجم المدهش كان يعمل معظم الوقت على أرضية نظرية محضة، ولم يزعج نفسه بخصوص تطبيقات هذه المادة التى سوف يأتى بها ، كما لو كان ماكينة تصنع المدافع . ان هذه المادة التى سيقدر على صنعها ، وهذا واضح تماما ، سوف تدرس لأجيال المستقبل باســـم كافـــوريت أو كافورين . وكان هذا هو كل ما يراه .

وعندما أدركت ذلك ، كنت أنا الذى أدير الحـديث ، وكافور هو الذى يقول :

ـ استمر !

وقفزت عاليا ، وقطعت الغرفة ذهابا وايابا ، متحدثا بحماسة شاب فى العشرين .

وأكدت له أننا سنكون ثروة كافية تحــدث أى ثورة اجتماعية نريدها ، وقد نمتلك وننظم العالم كله . وقال شيئا عن اللا مبالاة بالثروة ، ولكنى لم أعر ذلك التفاتا . وبالتدريج نما بيننا مفهوم شركة كافوريت .. فعليه هو أن يصنع المادة ، وعلى أنا أن أقوم بالدعاية لها

وصرخت قائلا :

ـ ها هى مادة لا يستغنى عنها بيت ولا مصنع ولا سفينة . ستوجد آلاف الاستخدامات لهذه المادة وكـــل واحد منها ستجعلنا ، يا كافور ، أغنياء بشكل يفـوق أكبر أحلامنا .

فقال :

ـ لا ! بدأت أفهم . انه لغريب أن يحصل المرء على وجهات نظر جديدة عند مناقشة الأمور !

ـ ربما هى الصدفة جعلتك تناقش الأمر مـــع الانسان المناسب !

ـ لا أظن أن أى انسان يعارض بشكل قاطع فكرة الثراء .. طبعا هناك شيء واحد ..

ووقفت ساكنا الى أن استطرد قائلا :

ـ تعرف ٠٠ انه من المحتمل أننا قد لا نستطيع صنعها بعد كل ذلك ! قد تكون احد الأمور الممكنة نظريا ، ولكنها غير ممكنة فى التطبيق ٠ أو عندما نصنعها تنشأ بعض الصعاب !

فقلت :

ـ سوف نتعامل مع الصعاب عندما تظهر !!

الفصل الثانى

صنع الكافوريت
وتشييد كرة الفضاء

ولكن مخاوف كافور كانت لا مبرر لها ، بالنسبة للتصنيع الفعلى ، ففى الرابع عشر من أكتوبر١٨٩٩ تم تصنيع هذه المادة التى لا تصدق !

والغريب فى الأمر ، أنها صنعت أخيـــرا بمحض الصدفة ، عندما كان كافور أقل توقعا لذلك . ففى أحد الأيام كان قادما الى بيتى الخشبى الصغير لتبادل حديثه اليومى معى واحتساء الشاى ، وكنت انتظره فى الشرفة، عندما ارتفعت مداخن منزله بغتة الى عنان السماء متحطمة

الى أشلاء • وتبع ذلك السطح والأثاث ، ثم ظهر لهب أبيض ضخم • واهتزت الأشجار المحيـطة بالمنزل بعنف وقفزت نحو النار ، وانسدت أذناى من شدة الضجة •

وخطوت متقدما نحو منزل كافور ، فأمسكت بى فى الحال ريح عاتية وسحبتنى نحوه ، فوجدت دوامـة من الريح تمسك بتلابيبه وتدور به وترفعه فى الهواء •• ثم تهبط الريح بسرعة وعاد الى الاحساس مرة أخـرى بانى أتنفس ولدى قدمين •

ورأيت أمامى كافور ينهض من على الأرض مغطى كله بالاوحال ، ومادا ذراعيه الداميتين نحوى • كـان وجهه مملوءا بالاحاسيس ، وقال وهو مقطوع النفس :

ـ بارك لى •• بارك لى !

فقلت :

ـ أبارك لك ! لا حول ولا قوة الا بالله ! على ماذا ؟

ـ لقد فعلتها •

ـ فعلتها ؟ ما الذى تسبب فى هذا الانفجار ؟

فقال :

ـ انه لم يكن انفجارا ٠

وعندما قد تمكنا أخيرا من الوصـــول الى بيتى الخشبى الصغير ، فسر لى ما قد حدث ٠ لقد أدمج عددا من المعادن وأشياء أخرى معينة سويا ، ونوى أن يتركه الخليط على النار لمدة أسبوع ، وبعد ذلك يتركها تبرد على مهل ٠ وستتم المرحلة الأخيرة فى صنع الكافوريت عندما تبرد المادة وتهبط الى درجة حرارة ٦٠ فهرنهيت ٠ ولكنه بدون قصد صنع المادة في شريحة رقيقة عريضة ٠ وعندما تم تصنيعها أصبح الهواء والسقف الذى فوقهـا عديم الوزن وعديم الضغط ، بينما أصبح للهواء المحيط بها ضغط أربعة عشرة رطلا ونصف على البوصة المربعة ٠ فاندفع الهواء المحيط بالكافوريت الى أعلى بعنف ٠ ثم فى ارتداده ، فقد الوزن ، وأجبر على الصعود الى أعلى وفجر السقف ٠

ووقفت محدقا ، مذهــولا ، لا أستطيع أن أدرك مدى افساد آمالى ٠

فسألت :

ـ ماذا تنوى أن تفعل الآن ؟

ـ أول كل شيء ، اذا سمحت لى ، سأستحم ‥ ومن الحكمة ، على ما أعتقد ، الا تذكر أى شيء عن الموضوع لأحد غيرنا · أعرف أننى قد تسببت فى ضرر كبير ‥ ومن المحتمل أن تكـــون بعض المنازل قـــد تحطمت فى انحاء متفرقة من الريف · ولكن ليس فى امكانى القيام بدفع تعويض للضرر الذى تسببت فيه · فالمرء لا يمكن أن يتنبأ بكل شيء ، تعلم ذلك · واذا لم تقدم تبريرات أخرى ، فالناس لعلهم سيفكرون أنه كان اعصارا · أما بالنسبة للمساعدين الثلاثة ، اذا هـــم لا يزالوا أحياء ، فانى أشك اذا كان لديهم الذكاء الكافى لشرح الموضوع واذا سمحت لى أن ارتاح بشكل مؤقت فى حجرة من حجرات بيتك !

وتوقف وأخذ يحدق فى بنظرة مفعمـــة بالمـــودة والاجلال · وأثناء قيامه بالاستحمام أخـــذت أفكـــر فى المسألة بمفردى · كان من الواضح أن مرافقـــة مستر

كافور شيء خطير · ولكنى كنت صغيرا متهورا ، وشئونى المالية مرتبكة ، فقررت أن أدعه يبقى معى وأفهم حقيقة الأمر ·

وبدأنا فى العمل على الفور ، فأعدنا بناء معمله وتابعنا انجاز تجاربنا ·· وبدأ كافور يتحدث بطريقة قريبة من مستواى أكثر مما كان يفعل من قبل · وفى أحد الأيام قال لى :

ـ لدى فكرة غير واضحة عن طريقة أخرى لتصنيع الكافوريت · لقد صنعت هذه المادة ، فى المرة الماضية ، فى حوض مسطح له حافة يحتفظ بها فى أسفل الحوض · وعندما بردت حدث ذلك الصخب مباشرة ، وتطاير السقف · لكن لنفرض أنه لا يوجد سقف ، والمادة حرة للصعود الى أعلى ؟

فقلت :

ـ سوف تصعد الى أعلى فى الحال !

ـ بالضبط ·

ـ ولكن ما الفائدة التى ستجنيها من ذلك ؟

ـ سوف أصعد معها !

فوضعت جانبا فنجان الشاى الذى فى يدى وتفرست فيه ٠

فشرح لى :

ـ تخيل كرة ٠٠ كبيرة تكفى لاحتواء شخصين مع امتعتهما ٠ سوف تكون مصنوعة من الصلب والزجاج السميك ، ومطلية بشكل مصقول من الخارج بمادة الكافوريت ٠

ـ ولكن كيف ستدخل فيها ؟

ـ هذا أمر سهل جدا ٠ فتحة محكمة الاغلاق تسمح بدخول شخص مثلى ، هذا كل ما هو مطلوب ٠ ولا بد من وجود صمام ، لكى يمكن القاء الأشياء التى يراد التخلص منها خارجا ، اذا استدعى الأمر ، بدون فقد كثير من الهواء ٠

فقلت ببطء :

ــ بدأت أفهم .. ويمكنك أن تدخل عندما يكون الكافوريت دافئا ، وعندما يبرد ستصبح الكرة غيـــر متأثرة بالجاذبية ، ومن ثم سوف تطير فى خط مستقيم .

وتوقفت بشكل مفاجىء وسألت :

ــ ما الذى يمنع الكرة من السفر فى خط مستقيم فى الفضاء الى الأبد ؟ ثم انك لست متأكدا للوصول الى أى مكان ، واذا حصل ذلك .. فكيف ستعود ؟

فقال كافور :

ــ لقد فكرت فى ذلك . يمـــكن أن تكون الكرة الداخلية الزجاجية محكمة الاغلاق دائما ، فيما عدا فتحة الدخول . ولكن كرة الصلب يمكن أن تصنع من أقسام ، كل قسم يمكن أن يرفع بنفس الطريقة التى ترفع بها ستارة المسرح أو مصراع النافذة . ويمكن تشغيل هــذه الستائر بالكهرباء بكل سهولة . وهكذا ، كما تـــرى

ستتكون طبقة الكافوريت الخارجية للكرة من نوافذ او ستائر ، وعندما تغلق كل هذه النوافذ ، لن يدخل الكرة حرارة ولا ضوء ولا جاذبية ، وستطير وتستمر فى الطيران فى الفضاء فى خط مستقيم · ولكن افتح ستارة، تخيل مصراع نافذة مفتوح ! فسوف يجذبنا ، فى الحال ، أى جسم ثقيل يتصادف وجوده فى ذلك الاتجاه ·

ـ فهمت · هذا واضح بما فيه الكفاية · فقط لا أفهم تماما لماذا سنقوم بذلك ؟

ـ يمكن الذهاب مثلا الى القمر ·

ـ وهل يوجد هواء هناك ؟

ـ ربما · كما يمكن الذهاب أيضا الى المريخ ·· جو صحو نقى ، بيئة جديدة · سيكون الذهاب الى هناك متعة !!!

ـ وهل يوجد هواء فى المريخ ؟

ـ أوه ، نعم !

وجاءت الى ذهنى فكره غريبة · لقد رأيت ، وكأنه

حلم ، النظام الشمسى كله متصلا سـويا بمركبـات وسفن وكرات كافوريت ، **فصرخت قائلا :**

ـ انه لأمر مروع ! اننى لم أكن أحلم بمثل هـذا الأمر

وفي تلك الليلة نفسها أسرعنا الى المعمل للشروع فى رسم التصميمات ٠٠ وظل الفجر علينا وكلانـا لا يزال منكبا على العمل ٠٠ حتى رجالنا الثلاثة ، الذين لحسن الحظ ، لم يهلكوا في الانفجار ، قد أصيبوا بعدوى حماسنا ٠

لقد وصلت الكرة الزجاجية فى يناير ، فى صندوق ضخم ٠ لقد وضعنـاها حاليـا تحت الونش الذى سيرفعها ويهبط بها في الهيكل الصلب ٠ ولقد وصلت جميع القضبان والستائر فى فبراير ، وثبتنا النصف السفلى سويا ٠ وفى شهر مارس تم تصـنيع نصف الكافوريت ٠ وعندما انتهى تثبيت الزجاج مع الهيكل ، اقترح كافور ازالة سطح المعمل وبناء فرن حول كـرة الفضاء ٠ وهكذا ستتم المرحلة النهائية من تصنيـع

الكافوريت ، التى سيسخن فيها المعجون مع غراء أحمر معتم ثم تطلى الكرة به ٠

وعندئذ علينا أن نقرر اختيار المؤن التى سنأخذها ٠٠ طعام مركز ، اسطوانات من الصلب تحتوى على اكسوجين ، منظم لازالة حامض الكربونيك من الهواء ، مكثفات مياه وهلم جرا ٠ وأخيرا ، انتهى عملنا ، فيما عدا التسخين فى الفرن ٠٠ !!

الفصل الثالث

الرحلة الى القمر

قال كافور :

ـ هيا ٠٠ استمر !

كان ذلك عندما جلست على حافة الفتحة الضيقة وتطلعت الى أسفل فى الجوف الأسود لكرة الفضاء ٠ كنا نحن الاثنين فقط ٠٠ وكانت الشمس قد غربت ، وأديم الشفق يجثم فوق كل شيء ٠

وسحبت ساقى الأخرى الى الداخل ، وانزلجت هابطا على الزجاج الاملس الى قاع كرة الفضاء ، ثم استدرت لأخذ علب الطعام والمعدات الأخرى من كافور ٠

كان الجو الداخلي للكرة دافئا ، والترمومتر يقف عند درجة ثمانين فهرنهيت ، ولذلك كنا نرتــدى ملابس خفيفة · ومع ذلك ، كان لدينا ملابس صوفية سميكــة وعدة بطاطين ، كنوع من الحيطة · ووضعت كل هذه الأشياء مع الاسطوانات عند قدمى ، حسب تعليمــات كافور ، وبعدما ادخلنا كل شيء ، زحف هو للداخل من بعدى ·

وساعدته في الدخول الى الغلاف الزجاجي للفتحة، ثم ضغط هو على زر لاغلاق ستارة متناظرة في الهيكل الخارجي ، فتلاشى الضوء ! وأصبحنا فى ظلام دامس !

ولم يتكلم أحدنا لفترة وكأنها دهر ، ولاحظت أنه لا يوجد شيء نمسك به عندما تحدث صدمة الانطلاق ، وأدركت أنني سوف أكون فى وضع غير مريح لحاجتى الى كرسى · فسألت :

ـ لماذا ليس لدينا كراسى ؟

فقال كافور :

ـ لقد فكرت فى كل شيء ، اننا لن نحتاج اليها ·

ـ لم لا ؟

فقال فى نبرة رجل يرفض الحديث :

ـ سترى .

فلذت بالصمت . وفجأة جال فى خاطرى فكرة أننى كنت غبيا لأدخل فى كرة الفضاء هذه . وحتى الآن ، سألت نفسى ، هل الوقت متأخر للانسحاب ؟ ولولا أن المهر سيكون مظهر جبن ، فأعتقد أنه حتى عندئذ كنت سأجبر كافور على اطلاق سراحى .. ولكنى ترددت ومر بعض الوقت .

وصدر صوت فرقعة بسيطة ، صوت يشبه فتح زجاجة شمبانيا فى غرفة مجاورة ، ثم أعقبه صفير خافت، فقلت فى الظلام :

ـ كافور ! انى خائف ! انى غبى ! ماذا أعمل هنا ؟ اننى لن أذهب ، يا كافور . سوف أخرج .

فقال :

ـ لا تستطيع ٠

ـ لا أستطيع ؟ سنرى حالا ؟

فقال :

ـ تأخر الوقت لنتشاجر الآن على ذلك يا بدفورد٠ لقد كانت الفرقعة البسيطة هى الاقلاع ٠ اننا نطير حاليا بسرعة مروق الطلقة فى الفضاء ٠

فأخذت أتمتم ، ثم انتابنى احساس باللامبالاة لما حدث ٠ وشعرت لبرهة وكأنى مضروب على أم رأسى ، ودائخ ، وليس عندى ما أقوله ٠ ثم لاحظت تغيرا فى أحاسيسى البدنية ٠ كان شعورا بالخفة وغير الواقعيـة سويا مع احساس غريب فى الرأس ، وضربات لشرايين الدم فى الأذنين ٠ ولم تقل أى من هذه أحاسيس مـع مرور الوقت ، ولكننى فى النهاية اعتدت عليها ، وأصبحت لا تزعجنى على الاطلاق ٠

وسمعت صوت طقطقة مع اضاءة مصباح كهربائى

·· ورأيت وجه كافور أبيض ولا بد أن يكون وجهى أبيض كذلك · وأخذنا نتأمل بعضنا فى صمت ·

وبدا كأنه يطفو فى الفضاء ، وعندما رآنى على وشك أن أفعل ذلك ، صرخ قائلا :

ـ لا تتحرك · دع عضلاتك تسترخى ·· وكأنك فى الفراش · اننا فى عالم صغير خاص بنا · انظر الى هذه الأشياء !

وأشار الى الصناديق والرزم المتمتعة بحرية الحركة · والتى كانت موضوعة فى قاع كرة الفضاء ·· وكنت مندهشا لرؤيتها تطفو على بعد قدم من حائط الكرة ·

ثم رأيت كافور لم يعد مستندا على الزجاج · ودسست يدى من خلفى ، فوجدت أننى كنت معلقا أيضا فى الفضاء ، بعيدا عن الزجاج ·

لم أصرخ ، ولكن الخوف استحوز على · كنت كمن أمسك به شىء ما ورفعه الى أعلى ·· ولا تعلم ما هو ·· وفهمت الذى قد حدث ، ولكن لم يمنعنى ذلك

من الخوف . لقد انفصلنا عن كلّ الجاذبية الخارجية ، ولا تأثير الا لجاذبية الأشياء التى فى داخـــل كرتنـــا الفضائية . وبالتالى كانت كل الأشياء غير المثبتة تسقط فى اتجاه مركز جاذبية عالمنا الصغير ، الذى ظهر فى مكان ما حول منتصف الكرة . **وقال كافور :**

ـ يجب أن نستدير ونطفوا ظهرا لظهر والأشيــاء من بيننا .

كان أغرب شيء يمكن تخيله ، أن نطفو هكـــذا بحرية في الفضاء ، وفي البداية كان ذلك غريبا بشكل مفزع حقا ، ولكن عندما زال الفزع ، أصبحت العمليــة مقبولة تماما ومريحة للغاية ، وكأننى راقد على فــراش من الريش الناعم السميك جدا . ولم تكن تبدو كبداية رحلة في الفضاء ، بل كانت تبدو كبداية حلم جميل .

وعندئذ أطفأ كافور النور ، قائـــلا أننا يجب أن نوفر طاقتنا المخزونة للقراءة ، ولوقت لا يوجد فيه سوى الظلام الدامس .



ووجدت نفسى سابحا فى الكرة الزجاجية .

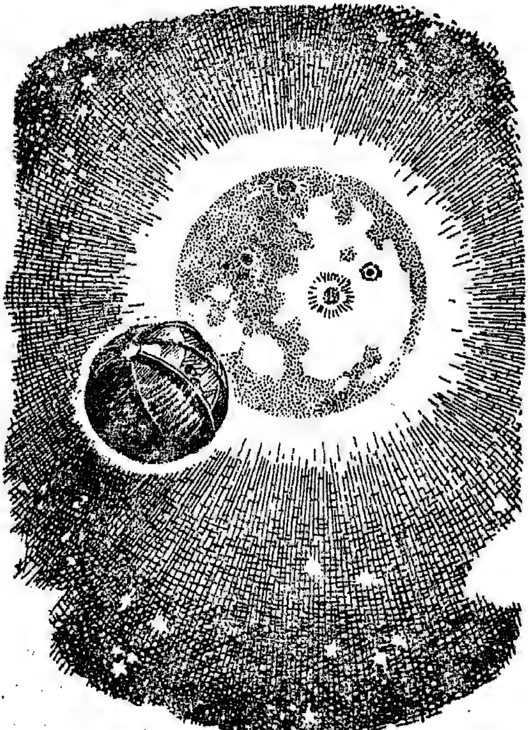
فسألت :

ـ فى أى اتجاه نحن سائرين ؟

ـ اننا نطير مبتعدين عن الأرض فى خط مستقيم حتى نقترب من القمر وسوف نتجه اليه فى ربعه الثالث .. سوف أفتح أحد الستائر ..

وسمعت طقطقة ، ثم انفتحت النافذة فى الغـلاف الخارجى للكرة . كانت السماء فى الخارج فى ســواد الظلام الموجود داخل الكرة ، ولكن كان هناك عـــدد لا نهائى لنجوم براقة . وكان على ان أغلق عينى بسبب ضوء القمر المبهر .

وتم فتح أربع نوافذ حتى تؤثر جاذبية القمر على جميع المواد فى كرتنا ، ووجدت أننى لم أعد أطفو بحرية فى الفضاء ، ولكن أصبحت قدماى تستقران على الزجاج فى اتجاه القمر . كان يبدو لى ، طبعا ، أننى أنظر الى « أسفل » عندما كنت أنظر للقمر ، لأن سحب الجاذبية كان فى اتجاهه ، وكان نوره يصعد الى . كان منظـــرا رائعا ، تظهر فيه أدق التفاصيل لسطحه بوضوح مدهش .



الاقتراب نحو القمر

وطالما أننا لم نشاهده عبر هواء ، فكانت حدوده ساطعة وحادة ٠

وسالت كافور :

ـ هل يمكن لأهل الأرض أن يرونا ؟

ـ ان ذلك يحتاج الى أقوى منظـــار على الأرض ليرونا به كجسيم صغير ٠

واخذت أتطلع للقمر مبهورا ، وقلت :

ـ انه عالم عجيب ٠ ان المرء يشعر بذلك أكثر مما يشعر به وهو على الأرض ٠ ربما الناس ٠٠

فصرخ قائلا :

ـ اناس ! لا ! انظر اليه ! انه ميت ٠٠ ميت ! براكين خامدة ضخمة ، قفور من الحمم ، صحراوات من الجليد أو الهواء المتجمد ، والاخاديد والتجاويف العميقة ٠ لا شيء يتحرك !!

فسألت :

– على فكره . هل يستطيع أكبر منظار أن يرى الأشياء الصغيرة التي على القمر ؟

– لا ، يمكن رؤية المدن أو المبانى . ربما توجد حشرات يمكنها أن تختبىء فى حفائر عميقة من الليل القمرى ، او نوع جديد من المخلوقات التى لا شبيه لها على الأرض . هذا هو الاحتمال الأرجح ، لو أننا وجدنا حياة هناك على الاطلاق . لاحظ الفرق فى الظروف . فالحياة يجب أن تلائم نفسها ليوم طوله أربعة عشرة يوما أرضيا ، أربعة عشرة يوما من الشمس المتوهجة بلا سحب يعقبها ليل يساويها فى الطول ، ويزداد برودة الى أن تصل درجة الحرارة الى ٢٧٣ مئوية تحت درجة التجمد الأرضية .

وفتح كافور ، عندئذ ، احدى الستائر المتجهة للأرض لمدة ثلاثين ثانية ، فسقطت بتثاقل على يدى ووجهى ، ورأيت لوهلة آمنا الأرض .. كوكبا فى السماء .. ما زلنا قريبين جدا ، وأخبرنى كافور أن المسافة ربما ثمانمائة ميل ، والقرص الأرضى الضخم يملأ السماء

كلها ، ولكن سبق ورأينا بكل وضوح أن العالم كـروى الشكل · كانت الأرض من تحتنا تبدو فى حمرة الأفـق عند الغروب وسط غمام ، ولكن فى جهة الغرب كانت مياه الاطلنطى الرمادية تسطع كالفضة تحت أشعـة غـروب الشمس · وأغلقت ستارة النافذة ثانية ، فوجدت نفسى انزلج ببطء على سطح الزجاج الأملس ·

لم نشعر بالحاجة للطعام لمـدة طويلة بعدمـا شرعنا في رحلتنا ، حيث ان الجهد المطلوب منا كـان بسيطا جدا بسبب انخفاض وزننا · وفحص كافور الجهاز الخاص بازالة حامض الكربونيك وأعلن أنه في حالة جيدة· ولم يعد لدينا شيء نقوم بفعلـه أو التحـدث عنه ، فاستسلمنا لنوم عجيب ألم بنا ، ونشرنا بطاطيننا على قاع الكرة الفضائية بطريقة تمنع وصول معظم ضـوء القمر ، ونمنا على الفور ·

وهكذا أخذنا ننام وأحيانا نتحدث ونقـرأ قليلا ، ونأكل في أوقات ، ولكن بدون شهية ، أثناء سفرنا عبر الفضاء الزمنى الذى ليس فيه ليل ولا نهار ، نازلين فى صمت ، ورقة وسرعة فى اتجاه القمر ··

الفصل الرابع

الهبوط على القمر

اذكر كيف فتح كافور ، في أحد الأيام ، ستا من نوافذنا الكافورية وأعماني ، لذلك صرخت فيه بصوت عال • كانت المنطقة كلها قمرا ، هلالا ضخما تبرز منه قمم متجهة الى وهج الشمس • أعلم أن القارىء قد رأى رسما أو صورا للقمر ، فلا حاجة لى في وصف اتساع تضاريس المنظر ، مع سلاسله الجبلية الدائرية وفوهاته البركانية وسهوله • وعبر هذا العالم كنا نطير بما لا يزيد على مائة ميل فوق قممه • واستطعنا الآن أن نـرى الأسطح البيضاء الساطعة المتداخلة في كتـــل تنكمش

وتتلاشى ، ثم تبدو هنا وهناك أسطح بنية وزيتونية اللون .

ولكن لم يكن لدينا سوى وقت قليل لمراقبه مناظر القمر ، لاننا الآن قد أتينا الى الخطر الحقيقى لرحلتنا . كان لا بد لنا أن نبطىء ونرقب حظنا ، الى أن نتمكن من الهبوط على سطح القمر ..

أصبح كافور الآن مشغولا جدا ، وأخذ يقفز داخل الكرة من مكان الى آخر ، يفتح الستائر ويغلقها ويقوم بحساباته مهتديا بجهاز الكرونومتر (١) . ولمدة طويلة ظلت ستائرنا مغلقة ، معلقين فى السكون وفى الظلام ، مسافرين عبر الفضاء .

ثم فتح فجأة أربع ستائر ، فترنحت وغطيت عينى لانبهارى واصابتى بعمى مؤقت بسبب وهج الشمس تحت قدمى . ثم أغلق الستائر ثانية فطفونا فى سكون أسود فسيح .

---

(١) أداة لقياس الزمن بدقة بالغة .

أضاء كافور النور الكهربائى ، وربطنا كل أمتعتنا سويا وأحطناها بالبطاطين . لقد فعلنا ذلك ونوافذنـــا مغلقة ، لان بهذه الطريقة ستنتظم امتعتنا نفسها بشكل طبيعى وتستقر فى منتصف الكرة .

كان ذلك أيضا عملا غريبا ، فنحن رجلان نطفــو بدون تحكم فى أرجاء الكرة ، تخيل ذلك لو امكــنك ! فكل مجهود هو نتيجة تحركات غير متوقعة لا هى الى أعلى ولا الى أسفل .. ها هى أقدام كافور تطفو أمام عينى وبعدها قد تطير فى طريقين متقاطعين ، ولكن أخيرا أصبحت امتعتنا مربوطة سويا فى ربطة كبيرة فى أمان ، فيما عدا بطانيتان كنا نلفهما حول كل منا .

ثم فتح كافور ستارة فى اتجاه القمر لمدة ثوان ، ورأينا أننا نسقط فى اتجاه فوهة بركانية ضخمة ، ثم فتح كرتنا الصغيرة معرضها للشمس المحرقة المبهرة . اعتقد أنه كان يستخدم الجاذبية الشمسيـــة كفرملة

وصرخ قائلا :

ـ غط نفسك ببطانية .

وأطعته ، وفجأة أغلق الستائر ثانية ثم بدأ يفتحها جميعها · وجاء صوت خشن وكنا نتدحرج وندور حول أنفسنا ونصطدم في الزجاج وفي ربطة أمتعتنا ونتخبط في بعضنا · وفي الخارج تناثرت مادة بيضاء كما لو أننا كنا نتدحرج فوق منحدر من ثلج ·

وعندئذ جاء صوت متبلد بطيء ، وكنت شبه مدفون تحت الربطة ، ثم سكن كل شيء · كنا لا نزال أحياء ، وكنا واقدين في ظل جدار للفوهة البركانية التي سقطنا فيها ·

وجلسنا نسترجع أنفاسنا مرة أخرى ، ونتحسس الكدمات التي ظهرت على أطرافنا · وناضلت جاهدا في ألم لأقف على قدمي ، وقلت :

ـ والآن سألقي نظرة على المنظر الطبيعي فوق القمر ! ولكن ·· ! انه مظلم بشكل مروع ياكافور !

ـ لقد وصلنا قبل شروق الشمس بنصف ساعة أو يزيد · ولا بد أن ننتظر ·



وهبطنا على سطح القمر

كان من المستحيل تمييز أى شيء ، فالزجاج كان مغبشا بالندى ، فمسحته بالبطانية ، ولكن كلما أسرعت فى مسحه أسرع فى التغبش بالندى مرة أخرى وجلست على ربطة الأمتعة وأنا أرتعش ، فسحبت البطانية ولففتها من حولى . وفجأة تجمدت الرطوبة ، **وقال كافور :**

ـ هل تستطيـــع الوصـــول الى مفتاح المدفـــأة الكهربائية ؟ نعم .. هـــذا المفتاح الأسود ، والا سوف نتجمد .

ولم أنتظر ليقول ذلك مرة أخرى ، **وقلت :**

ـ والآن ، ماذا علينا أن نفعل ؟

فقال :

ـ ننتظر .

ـ ننتظر .

ـ طبعا .. علينا أن ننتظر حتى يدفأ هواؤنا مرة أخرى ، وعندئذ سيصفو هذا الزجاج . لا نستطيع أن نفعل أى شيء حتى ذلك الحين . ومع ذلك فهو ليل هنا

الآن ؟ يجب أن ننتظر النهار · وفى هذه الاثناء ، ألا تشعر بالجوع ؟

ولم أجبه لبرمة ، ولكنى جلست مغتاظا نادما · لقد خاب ظنى وأملى · لقد توقعت ·· لا أدرى ما توقعته، ولكن ليس هذا !!!

واعدت ترتيب بطانيتى من حولى وجلست ثانية فوق ربطة الأمتعة وبدأت أول وجبه طعام على القمر · وبدأ الزجاج يصفو حاليا ، وتنقشع الغلالة الضبابية التى تخفى عالم القمر عن أعيننا ·· وأخذنا نحدق فى المناظر الطبيعية للقمر ·

الفصل الخامس

صباح قمـرى

وجدنا أنفسنا فى سهل مستدير فسيح ، انـه أرضية الفوهة البركانية الضخمة ، وتحيط بنا جدرانها التى تشبه الصخور من كل جانب · وبالرغم من أننا لم نستطع رؤية الشمس بعد ، الا أن نورها سقط عـلى الصخور الغريبة وأظهر شكلها الرمادى الغبى المخـطط بالثلج هنا وهناك ·

وكانت تجثم من حولنا روابى من ركـام ثلجى · فكرت فى ذلك الوقت أنها ثلوج ، ولكنها لم تكن كذلك ·· لقد كانت كتلا من الهواء المتجمد ·

ثم جاء فجأة وبدون توقع النهار القمرى · لقد تسلل نور الشمس هابطا الجرف الصخرى الشاهق وتقدم نحونا بسرعة · وعند لمسة الفجر تصاعد ضباب رمادى الى أعلى من أرضية الفوهة البركانية ، حتى أصبح فى النهاية يبعث بالبخار مثل مناديل مبتل معرض للنار ، وقال كافور :

ـ انه هواء · لا بد أنه هواء ·· والا ما تصاعد هكذا ·· بمجرد لمسة من شعاع الشمس ·

واقترب النهار منا بسرعة وبثبات ، وبدأ الوهج يمسك بركام وراء ركام ويحوله الى بخار · وامسك كافور بذراعى وقال :

ـ أنظر ! شروق الشمس ! الشمس !!

وادارنى وأشار الى الجرف الشرقى ·· كانت حدوده تلعقها ألسنة من اللهب الأحمر الزاهى التى كانت ترقص وتتلوى ·

وبعد ذلك ·· الشمس !

في البداية ظهرت كحافة رفيعة ، ثم أخذت شكلا دائريا ، وبدا نورها الباهر يطعن عيني وكأنه رمح فصرخت عاليا وأخذت ألف وأدور من حولي كالأعمى متلمسا طريقي من أجل بطانيتي التي تحت ربطة الأمتعة

وجاء مع هذا النور الساطـــع صـــوت يهسهس كالأفعى · كان الهواء خارج هيكلنا الزجاجي يغلي ·· مثل ثلج قد غمس فيه قضيب حار ، والذي كان هواء صلدا قد أصبح مع لمسة من الشمس عجينة لينة ، أو وحلا مبتلا يهسهس ويبقبق ويفور متحولا الى غاز ·

وهنا دارت الكرة دورانا عنيفا · لقد بدأ الهـواء المتجمد الذي استراحت عليه في الذوبان ، وبدأنـــا نتدحرج من فوق المنحدر ، فنتخبط ونتصادم في بعضنا وفي امتعتنا · ولو كنا على الأرض لقضي علينـــا بسبب هذا التخبط ، ولكن على القمر كان وزننا سدس ما هـو عليه على الأرض ، وكنا نسقط برفق تـــام · ولكنى شعرت بالغثيان وأغمى على ·

وعندما عدت الى وعيي وجدت كافور منحنيا فوقي،

وكانت عيناه وكذلك عيناى محمية بنظارات زرقاء من وهج المنظر الطبيعي · كنت مصابا بدوار وجبهتي تنزف ويداى بها كدمات · واعطانى بعض الأدوية التى احضرها معه ، فشعرت بعدها بتحسن · وبدأت أبسط أطرافى بحرص شديد ، واستطعت بعدها أن أتكلم ، **فسألت :**

ـ ماذا حدث ؟ هل قفزنا الى المناطق الاستوائية ؟

ـ حدث ما توقعته · لقد تبخر هذا الهواء ، اذا كان هواء · وتعرى سطح القمر · اننا نرقد على ركام صخرى ، وتظهر هنا وهناك أراضي جرداء · نوع غريب من التربة ·

وساعدنى علي الجلوس واستطعت أن أرى بنفسى، ولم نعد فى فضاء خال ، وتصاعد غلاف جوى من حولنا · وأخذت خطوط الأشياء وحدودها تتشكل بحدة وبتنوع، وفيما عدا بعض النتف البيضاء هنا وهناك ، تلاشى المنظر القطبى كلية ، وظهرت مساحات بنية من الأرضى الجرداء فى كل مكان تعكس وهج الشمس · ودخل نور الشمس فى كل مكان عبر زجاج كرتنا وحول الطقس الى صيف ، ولكن الكرة كانت راقدة على ثلج ·

وكانت عصى ملتوية جافـــة بنفس اللـــون البنى للصخور التي ترقد عليها مبعثرة هنا وهناك فوق المنحدر الذى بداخل الفوهة البركانية • كان ذلك مذهلا • عصى ! فوق عالم بدون حياة ؟ فناديت :

ـ كافور !

ـ نعم •

ـ ربما انه عالم ميت الآن •• ولكن فيما مضى ••

وجذب انتباهى أمر ما • لقد اكتشفت بين هذه العصى عددا من أشياء صغيرة مستديرة • وبدا لى أن احداها قد تحرك !

ولوهلة لم أستطع تصديق عينى ، وانفلتت صرخة من بين شفتى ، وقبضت على ذراع كافور وقلت له :

ـ أنظر ! هناك ! نعم ! وهناك !!

وتعقبت عيناه اصبعى الذى أشير به ، وقال :

ـ ايه ؟!

كيف أستطيع وصف الشيء الذى رأيته ؟ لقد قلت ان من بين العصى الجافة كانت توجد أشياء مستديرة صغيرة · واحد ثم آخر قد تحركا ، وتدحرجا فى طقطقة ، وانبثق منهما أشياء تشبه الجذور ·· ولبرهة كان هذا كل شيء ، ثم تحركا وتفجر ثالث ! وقال كافور :

ـ انها بذور ·

ثم سمعته يهمس بصوت خافت :

ـ حياة !

ـ حياة !

اذن فرحلتنا المهولة لم تكن عبثا ، ولقد أتينا الى عالم حى يتحرك ، لا الى نفايات معادن مقفرة !

وأخذت هذه البذور العجيبة تتفتق الواحدة تلو الأخرى ثم تتفتح ، وتدخل الى المرحلة الثانية من النمو ، وتغرز جذرا صغيرا فى الأرض وبرعما صغيرا غريبا

فى الهواء . وبعد برهة امتلأ المنحدر كله بنباتات واقفة فى استقامة تحت وهج الشمس .

ولم تقف لمـــدة طويلـــة ، اذ انتفحت البراعم وتفتحت ناثرة دائرة من الأوراق البنية الصــغيرة التى كبرت بسرعة تحت أبصارنا . وفى خلال بضع دقائق أصبح كل المنحدر ـ الذى كان يبدو من وقت قصـــير خرابا يبابا ليس فيه الا عصى جافة بلا حياة ـ مليئـا بالنباتات الخضراء والبرتقالية اللون . انها كانت معجزة تنمو .. وهكذا على المرء أن يتصور ، الأشجار والنباتات التى انبثقت وغطت التربة حديثة التكوين .

الفصل السادس

الاستكشاف يبـدأ

توقفنا عن الحملقة ، والتفت كـــل منا للآخر ، ونفس الفكرة فى عقلينا ·· فلكى تنمو هذه النباتات ، فلا بد من وجود بعض الهواء ، مهما كان واهنا ضئيلا ·· هواء لا بد أننا أيضا نستطيع أن نتنفســـه ، **وسـألت** كافور :

ـ كيف تعرف أن ذلك الشيء عبارة عن هواء ؟ فقد يكون نتروجين ·· أو قد يكون حتى حامض الكربونيك !

فقال :

ـ هذا شيء سهل ·

وشرع في برهنة ذلك ، فأشعل قطعة ورق كبيرة وقذف بها عبر الصمام الألـــكتروني ٠٠ وسقطت على الثلج ٠ واختفى اللهب الوردى لاشتعالها ، ثم رأيت لسانا أزرق صغيرا على طرفها الذى زحــف وانتشر ! واحترقت الورقة بهدوء وتصاعد منسا خيط من الدخان ٠ ولم يدع ذلك مجالا للشك عندى ، فجو القمر اما أنـــه اكسوجين نقى أو هواء ، وقادر لذلك ـ الا اذا كـــان ضئيلا للغاية ـ على مساعدتنا على الحياة ٠

وشرعت في فك الغطاء الزجاجي للفتحة الضيقة ، وبدأ الهواء المكثف داخل كرتنا في الهروب مصفرا مثــل ابريق الشاى ٠ وأوقفني كافور ٠ كان من الواضح أن الضغط في الخارج أقل بكثير عن الضغط في الداخل ٠ وبدأ الدم الذى يجرى في شرايينى يدق فى أذنى ، وقل صوت تحركات كافور ٠٠ وكنت فاقـــد النفس وأحس بالدوار ، وجلس كافور ومعه اسطوانة اكسوجين في يده لتعويض ضغطنا ٠ وأعد شرابا وأصر على مشاركتى له ، قبل أن يسمح لى باستئناف فك الــكوة ٠ ورفعت الغطاء الزجاجي ووضعته بحرص على الأمتعة ٠ وركعت

بجانب حافة الكوة ، وأمعنت النظر من فوقها . وعلى بعد ياردة واحدة تحت وجهي كان يمتد ثلج القمر الذى لم يطأه أحد من قبل .

مد كافور رأسه عبر الكوة وهو ملتف فى بطانيته، وجلس على حافة الفتحة الصغيرة مترددا ، ثم تدلى منها هابطا ووقف على تربة القمر .. ثم جمع شتات نفسه وقفز .

وبدت لى انها قفزة كبيرة جدا ، حوالى عشرين أو ثلاثين قدما . كان واقفا فوق صخرة عالية وهو يشير لى . ربما كان يصيح ، لكن الصوت لم يصلنى .

وقفزت أنا أيضا عبر الكوة وأنا فى حالة ذهنية مشوشة .. ووقفت .. وكان الثلج الذى أمامى قد ذاب وترك بركة صغيرة ، فأخذت خطوة للخلف وقفزت .

ووجدت نفسى طائرا عبر الهواء ، ورأيت الصخرة التى يقف عليها كافور تأتى فى مقابلتى ، فقبضت عليها باحكام وأنا فى حالة اندهاش تام . وانحنى كافور

وصاح فى صوت حاد وكأنه يخرج من مزمار لكى أكون حذرا .

لقد نسيت أن وزنى على القمر ـ الذى هو واحد على ثمانية من كتلة الأرض وربع قطرها ـ كان سدس ما كان على الأرض . ولكن الآن لا بد من تذكر هذه الحقيقة ، فرفعت نفسى بحذر الى قمة الصخرة ، ووقفت بجانبه ، تحت وهج الشمس .

وعلى مدى رؤية العين ، كانت أرضية الفوهة البركانية مغطاة بنباتات تتفتح وتنتصب وتتدفق فيها قوة الحياة ، فيها أنواع شتى ، منها أنواع الصبار المنتفخة الأحجام ، ومنها الأعشاب الحمراء الزاهية التى تنمو بسرعة وتبدو زاحفة فوق الصخور ، **وقال كافور :**

ـ يبدو أنه مهجور ، مقفر تماما . لا حشرات .. ولا طيور ! ولا أثر لحياة حيوانية . واذا كانت هناك كائنات حية .. فماذا يفعلون فى الليل .. ؟ لا ، ليس هناك سوى هذه النباتات فقط .

ولاذ بالصمت وأخذ يفكر لمدة طويلة ، وظللت عينى



وقفزت بكل قوتي ...

بيدى وحملقت باندهاش فى النباتات التى تنمــو تحت نظرى ، وقلت :

ـ أنظر الى هذه الزهرة !

والتفت نحو كافور ، وصعقت ! لقد اختفى !!

ولبرهة وقفت متسمرا فى مكانى · ثم قمت بخطوة عاجلة لانظر من فوق حافة الصخرة · ولكنى نسيت مرة أخرى وأنا في دهشتى أننا كنا على سطح القمر ، وسبحت عبر الهواء وسقطت مثل الريشة ، وغصت حتى الركبة فى الثلج عند سفح خندق ، ونظرت متطلعــا حــول وصرخت :

ـ كافور !

ولكن لا يوجد كافور على مدى البصر ، وتسلقت مسرعا الى قمة الصخور ، وصحت :

ـ كافور !

ورن صوتى مثل صوت حمل ضائع فى الفلا ··

ولم تكن الكرة أيضا فى مرمى البصر ، وللحظة ران على قلبى احساس موجع بالوحشة ٠

وأخيرا رأيته ٠ كان يضحك ويقسوم بالتلويح والاشارة ليجذب انتباهى ٠ كان واقفا على صخرة جرداء على بعد حوالى عشرين أو ثلاثين قدما ٠ لم استطع سماع صوته ، **ولكن حركاته قالت لى :**

ـ اقفز ٠

وترددت ، اذ بدت المسافة مهولة ٠ وأخذت خطوة للخلف ، وجمعت كل قوتى وقفزت ٠٠ وخيل لى أنى انطلقت الى أعلى فى الهواء وكأنى لن اهبط أبدا ٠

كان هذا مرعبا ومبهجا فى الوقت نفسه ، وكأنى فى كابوس أن أطير بهذه الكيفية ، وطرت من فوق رأس كافور وسقطت على كتلة ضخمة من نبات الفطر الذى تفجر من حولى وغطانى بمسحوقه البرتقالى ٠٠٠ وتدحرجت الى أن توقفت وأنا أضحك مقطوع النفس ٠

وبدأت الحظ وجه كافور الصغير المستدير مطلا من

فوق سياج كثيف · وشق طريقه نحـــوى بحـــذر ، وقال :

ـ لا بد أن ناخذ حذرنا ، فهذا القمر ليس لـــه نظام · انه سيتسبب فى سحقنا ·

وفيما عدا بعض الأشواك التى انتزعتها من يدى ، فلم تحدث لى اصابات خطيرة من وقعتى ، وبدأنا نتطلع حولنا من أجل قفزتنا التالية فى مكان آمن وسهـــل الهبوط عليه · واستطعت هذه المرة أن أقفز بـــدون مشقة ، ولكن كافور سقط وفقد توازنه ، وهو الذى فى هذه المرة ذاق طعم الشوك ·

وأخذنا نقفز ذهابا وايابا عدة مرات، لنعود عضلاتنا على هذه الحالة الجديدة · وبعد وقت قصير استطعنا أن نتحكم فى الجهد المطلوب بذله حسب المسافة ·

وكانت النباتات القمرية ـ فى كل هذا الوقت ـ تنمو من حولنا أكثر طولا وكثافة فى كل لحظة ، ولكننا كنا منهمكين فى التحكم فى قفزنا ، حتى أننا لم نعـر نموها هذا التفاتا ·

ومما يدهش أننا كنا فى روح عالية جدا · كـان ذلك يرجع الى احساسنا بالحرية بعد حبسنا فى الكرة الفضائية ، ولكنه يرجع أيضا بصفة رئيسية الى الهـواء الرقيق العليل ، الذى يحتوى بالتأكيد على نسبـة من الاكسوجين أكبر من جو أرضنا بكثير ، وبالرغم مـــن الظروف الغريبة المحيطة بنا شعرت بالمغامـرة ، كمـــا يشعر ابن المدينة عندما يضعونه لأول مرة بين الجبال ، ولا أظن أحدا منا كان فى حالة خوف أكثر من اللازم ، بالرغم من مواجهتنا للمجهول ·

وقمنا بمزيد من القفزات محققين نجاحا مذهلا ، وجلسنا أخيرا للراحة حيث شعرنا بألم شديد فى رئتينا ·· وجلسنا ممسكين بجنبينا نلتقط أنفاسنا · ولهث كافور بشىء عن « الاحاسيس المدهشة » ، ثم خطر فى رأسى خاطر ، فقلت :

ـ على فكرة ، أين الكرة الفضائية بالضبط ؟

فتطلع كافور الى متهتها :

ـ ايه ؟ ايه ؟

فذهلت من منظره وصرخت وانا اضع يدى عـــلى ذراعه :

ـ كافور ! أين الكرة ؟؟؟

الفصل السابع

الضائعان فى القمر

التقط وجهه شيئا من فزعى ، ونهض واقفا يحملق حوله فى الشجيرات التى تحيط بنا من كل جانب وترتفع مشكلة سجنا لنا ، وتحدث مع فقدان ثقة مفاجىء وقال ببطء :

ـ أظن أننا تركناها فى .. مكان ما .. هناك .

وأشار بأصبعه المحنى الحائر ، واضاف قائلا وهو يصوب نظرات عينيه نحوى :

ـ أنا لست متأكدا . على أية حال ، لا يمكن أن تكون بعيدة .

لقد نهض كلانا واقفا ، وأخذت أعيننا تجوب الغابة الكثيفة المحيطة بنا . انتشرت كتل من النباتات الكثيفة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، وفى مكان ما بين هـذه النباتات قد طمرت كرتنا ، بيتنا ، أملنـــا الوحيد فى الهروب من هذه البرية .

وقال مشيرا بشكل مفاجىء :

ـ على كل ، أعتقد أنها لا بد أن تكون هناك .

فقلت :

ـ لا ، لقد سرنا منعطفين ، انظر ! ها هى آثار أقدامنا . من الواضح أن الكرة جهة الشرق قليلا . لا ! لا بد أنها هناك .

فقال كافور :

ـ اعتقد أننى جعلت الشمس على يمينى طـــول الوقت .

ـ يبدو لى فى كل قفزة أن ظلى يطير امامي .

وحملق كل منا فى الآخر ، وأصبحت منطقة الفوهه البركانية متسعة جدا لتخيلاتنا ، **وقلت :**

ـ يا الهى ! يا لنا من أحمقين !

فقال كافور :

ـ من الجلى أننا سوف نجدها ثانية ، وسيكون ذلك قريبا جدا . ان الشمس تزداد قوة . قد يغمى علينا من الحرارة خاصة اذا لم تكن جافة . و .... انى أشعر بالجوع .

فحملقت فيه وقلت :

ـ وأنا أيضا أشعر بالجوع .

وفى هدوء قدر المستطاع قمنا بمسح الصخور والشجيرات اللا نهائية التى كونت أرضية الفوهة البركانية .. وحملقت من حولى على أمل يائس للتعرف على تل أو شجيرة كانت قريبة من الكرة .. ولكن

كل مكان كان فيه تماثل من شجيرات وفــطر وثلج ذائب . وأخذت الشمس تزداد حرارة وتلسع ، وكنا جائعين ومرتبكين . وحتى ونحن واقفان هناك ، بدأنـا نعى لأول مرة صوتا آخر على القمر ، غير حركة نمـو النباتات ، انه التنهد الخافت للريح ، أو الأصـوات التى قد صدرت عنا .

بوم ... بوم ... بوم ... !!

جاءت من تحت أقدامنا ، أصـــوات تحت الأرض . لا أستطيع أن أتخيل أن يدهشنا أى صـــوت أكثر من هذا . كان صوتا عميقا . بطيئا ومتأنيا ، وكأنه ضربات ساعة ضخمة مدفونة .

بوم ... بوم ... بوم ... !!

وسأل كل منا الآخر :

ـ ساعة ؟

ـ تشبه الساعة !

ـ ما هذا ؟

ـ ماذا يمكن ان يكون ؟

ـ ماذا يمكن أن يكون ؟

وتوقفت الضربات . هل سمعت صوتا بالفعل ؟ لقد شعرت بضغط يد كافور على ذراعى وهو يهمس :

ـ دعنا لا نفترق ، ولنبحث عن الكرة . يجب أن نعود إلى الكرة . ان هذا فوق ادراكنا .

ـ أى الطرق سنسلك ؟

فتردد ، وشعرنا بحضور أشياء غير مرئية حولنا وبالقرب منا .

ترى ما هى هذه الأشياء ؟ ترى أين تكون ؟ هل هذه البرية المهجورة ما هى الا الغطاء الخارجى لعالـم سفلى ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فأى نوع من العوالم ؟ ومن هم السكان ؟

وعندئذ ، وبشكل مفاجىء كعصف رعد مباغت ، جاء صوت رنين حاد وكأن بوابات عظيمة من المعدن قد انفتحت على مصراعيها فجأة !

ووقفنا عاجزين في دهشه ، **وهمس كافـــور في اذني :**

ـ انى لا **أفهم** ! يجب أن نعثر **على** مخبأ ٠ لو جاء أى شىء ٠٠

وبدأنا نتحرك فى ثبات وتؤدة ، وحث من خطواتنا صوت يشبه مطارق تضرب مرجلا ، **فهمس كافور قائلا :**

ـ لا بد أن نزحف ٠

وقطعنا طريقنا بين الفروع الكثيفة ، وتوقفت فى قلب الغابة ، **أحملق** لاهثا فى وجه كافور الذى همس **قائلا :**

ـ تحت الأرض ! أسفل !

ـ قد يخرجون !

ـ يجب أن نعثر على الكرة !

فقلت :

ـ نعم ، ولكن كيف ؟

ـ نزحف حتى نصل اليها ٠

ـ ولكن اذا لم نصلها ؟

ـ نظل مختبئين ، نرى على أى شكل هم ؟

وفكر قليلا ثم قال متسائلا :

ـ أى الطرق سوف نذهب ؟

ـ يجب أن نجرب حظنا ٠

وتطلعنا هنا وهناك ، ثم بدأنا نحبو في حذر شديد عبر الادغال ،قاصدين فقط الكرة التى قد خرجنا منها بغباء ٠ وكنا نسمع ، من حين لآخر هزات عنيفة من الأرض التى تحتنا مع دقات وأصوات ميكانيكية غريبة ٠ ولم نجرؤ على الوصول الى موقع نستطيع منه أن نعاين الفوهة البركانية ٠ ولم نر شيئا من الكائنات التى نسمع أصواتها ٠ وكان يبدو كل هذا كحلم من الأحلام ٠

كان كل ما حولنا غريبا . كانت الأدغـــال تفيض بوهج الشمس ، ولكن السماء لا تزال مزينة بقليل من النجوم . وأخذ الدم ينبض فى أذنينا . وكان من حين لآخر يأتى ذلك الصوت الميكانيكى الرنان ، ثم بدأنـــا نسمع خوار حيوانات ضخمة !

الفصل الثامن

عجول القمر

ومع ضياعنا فى أحراش القمر هذه ، زحفنا فى فزع قبل أن تأخذنا على حين غرة أصوات الخوار .. ومر وقت طويل قبل أن نرى مخلوقات القمر أو حيواناته ، بالرغم أن خوار هذه الحيوانات كان يزداد اقترابا باستمرار .

كانت رؤيتنا الأولى ما هى الا نظرة خاطفة . كان كافور يزحف أمامى فى ذلك الوقت ، وأول من وعى باقترابهم ، وتسمر في مكانه كالميت وأشار لى بالوقوف .

وتهشمت الشجيرات من خلفنا وتبعها خوار مرعب .. فالتفتنا حولنا ، فرأينا جانبا من عجول القمر البراقة وخطا طويلا من ظهورها .

كان حجمها مهولا ، فطولها يقرب من مائتي قدم ، وجوانبها ترتفع وتنخفض مع تنفسها الثقيل . كان جلدها متغضنا .. ورأسها يكاد يخلو من الذكاء ، ورقبتها سميدة ، وفتحتا أنفها صغيرتين وعيناها مغلقتين باحكام .. ولمحنا أحد هذه الحيوانات ، وكان فاتحا فمه ليخور ثانية ، فرأينا تجويفا أحمر فسيحا ، ثم جر هذا الحيوان المخيف نفسه على الأرض واختفى داخل الأحراش .. ثم ظهر آخر ثم آخر وكان الأول يقود البهائم الى مرعاها .

ثم ظهر أحد مخلوقات القمر ، فقبضت على قدم كافور عند رؤيتي له ، وظللنا بلا حراك وحملقنا طويلا بعد ما مر واختفى عن نظرنا .

وبدا هذا المخلوق متناقضا مع عجول القمر ... كان كائنا تافها يكاد يصل طوله الى خمسة أقدام .



العجول اللمرية . . !

وكان يرتدى رداء محكمـا على جسما من خامة جلدية لذلك لم يظهر أى جزء من جسمه · كان قريب الشبـــه لحشرة من الحشرات مع مجسات استشعار وذراع ناتىء· وكانت على رأسه خوذة شائكة ·· اكتشفنا فيما بعـد أنه يستخدم هذه الأشواك فى وخز عجول القمر ··· وكان وجهه مغطى بقناع ونظارة شمس معتمة · وكانت ساقاه قصيرتين ورفيعتين وملفوفتين فى أحجية دافئة · وبدا حانقا ومتعجلا ، وكان يصدر صوت رنين بذراعه · وبعد أن اختفى فورا سمعنا خوار عجل القمر يتغيـــر فجأة الى صرخة حادة من الألم ، غرق عالم القمر بعدها فى سكون ·

وعندما رأينا عجول القمر مرة أخرى كانوا يرعون ويتغذون على نبات أخضر منقط · كانوا يأكلون بنهم وفى ضجة عالية ويبدون كوحوش سمينة بطيئة الحركة ·

ثم أتينا حاليا الى مكان تنبعث منه أصـــوات ·· أصوات تشبه دوران آلات ·· وكأننا اقتربنا من مصنع ضخم ·· وبينما كانت لا تزال هذه الأصوات تنبعث من حولنا . حللنا الى طرف ساحة كبيرة مكشوفة مساحتها

حوالى ٢٠٠ ياردة مربعة ومستوية تماما · فهبطنا اليها وبدأنا نسير بجانب طرفها بحذر شديد

ولبرهة وجيزة توقفت الأصوات القادمة من الأسفل ، ثم بدأ صخب مفاجئ ، أخذ يزداد ارتفاعا وقربا · وأصبح لا مدعاة للشك فى أنه يأتى من تحتنا ··· وأخذ يزداد هذا الضرب ارتفاعا حتى بدا كل العالم القمرى وكأنه يهتز ، ثم همس كافور لى قائلا :

ـ اختبىء !

فاستدرت خلف الشجيرات ·· وجاء فى تلك اللحظة صوت يشبه صوت انطلاق بندقية ، ثم حدث شىء غريب ·· بدأت كل تلك الساحة المكشوفة تنزلج جهة الجوانب فى شقوق مجهزة لذلك ، وكشفت عن حفرة عميقة لا حد لها ·

ولولا كافور لظللت هناك ، معلقا فوق هذا الغطاء ومحملقا فى الحفرة المهولة ، الى أن تبلعنى الشقوق وتقذف بى الى الأعماق · ولكن كافور كان على بعد مسافة من الحافة عندما انفتح الغطاء ، وأمسك بى

. .

وسحبنى الى الخلف .. وزحفت مبتعدا عن الهاوية وركضت وراءه عبر قصف رعد الواح من المعدن داخل الأحراش . ورقدنا لمدة طويلة نلهث خائفين أن نقترب من الحفرة .

وزحفنا أخيراً ، بحذر شديد الى مكان نستطيع منه أن ننظر الى ما بداخل هذه الحفرة ، وكان هناك نسيم قوى يهب هابطا الحفرة . لم نستطع أن نرى شيئا فى البداية فيما عدا جدران مستقيمة ملساء هابطة فى ظلمة حالكة السواد ، ثم بدأنا نلاحظ بالتدريج أضواء ضئيلة باهتة تتحرك ذهابا وإيابا .

وبعد أن اعتدنا على الظلام استطعنا أن نميز أشكالا معتمة صغيرة جدا تتحرك بين هذه الأضواء الباهته ، فسألت :

ـ ماذا يمكن أن تكون ؟ ماذا يمكن أن تكون هذه الأشياء ؟!

ـ الماكينات ! لا بد أنهم يعيشون فى هذه الكهوف أثناء الليل ، ويخرجون أثناء النهار .

فقلت :

ـ كافور ! هل يمكن أن يكونوا بشرا ؟

ـ انهم ليسوا بُشرا !

ـ اننا لا نجرؤ أن نخاطر بشيء !

ـ اننا لا نجرو أن نفعل شيئا حتى نعثر على الكرة !

وتحبطنا فى طريقنا عبر الأحراش .. وزحفنا لفترة بعزيمة واصرار ، ثم بطاقة خائرة .. ولم يعد فى طاقتى أن أسير بدون طعام ، **فقلت :**

ـ كافور ، لا بد أن آكل .

فادار لى وجها مليئا بالرعب ، وقال :

ـ ان هذا وقت الصمود والتحمل .

فقلت :

ـ ولكنى لا أستطيع ، لا بد أن آكل ، ثم أنظر الى شفتى !

ـ انى أشعر أيضا بالعطش منذ فترة ٠

ـ آه لو كان قد بقى بعض الثلج !

ـ لقد ذهب كله ! ليس أمامنا سوى العثور على الكرة ٠

واجبرنا أنفسنا على الزحف مرة أخرى ، وكان عقلى مركزا كلية على الشراب والطعام ٠٠ ومررنا على أماكن مستوية تنبت فيها أشياء حمراء ذات لب ، تكسرت عندما اصطدمنا بها ، ولاحظت نوعية الأجزاء المكسورة ٠ لا شك أنها تبدو صالحة للأكل ، كما أن رائحتها كانت طيبة مقبولة ٠٠ فالتقطت قطعة وشممتها ، **وقلت في صوت خفيض :**

ـ كافور ٠٠ مارأيك ؟

فقال :

ـ لا تفعل !

فألقيت بها ، وزحفت بين هذه النباتات المغرية ، **وسالت :**

ـ كافور ! لماذا لا ؟

فقال :

ـ سم !

فقلت :

ـ سوف أغامر .

وحشوت فمى بها ، وحاول أن يمنعنى . ولكنه تأخر ، **وقلت :**

ـ انها طيبة !

وأخذ يرقبنى وأنا آكل ... وتغضن وجـــهه فى حيرة بين الرغبة وعدم الموافقة ، ثم استسلم **فجـــأة** لشهيته وبدأ يقضم منها بملء فمه . وبقينا كذلك لفترة لا نفعل شيئا سوى الأكل !

كان طعم ما نأكله لا يختلف كثيرا عن **طعم الفطر** (عش الغراب) ، وعندما كنا نبتلعه كان يدفىء حلقنا . وبدأت دماؤنا تجرى أكثر دفئـــا ، وبعـــدها اشتعلت رؤوسنا بأفكار جديدة ، **وقلت :**

ـ انه لشيء طيب ! شيء مدهش ! انه مكان يصلح لحل الفائض السكاني عندنا في كوكب الأرض !

كنت في نشوة عالية ، واختفى الخوف والضيق الذي كنت احسه من قبل .. ونسيت سكان القمـــر وعجوله ، والحفرة والأصوات كلية ... وكنت أشعـــر بالدوار ولكنى اعتقدت أن هذا مرجعه أثر الطعام بعـــد صوم طويل .

وقلت :

ـ اكتشاف عظيم لك يا كافور .. انه طعام لذيذ لا يفوقه سوى طعم البطاطس .

فسأل كافور :

ـ ماذا تقصد ! اكتشاف القمر لا يفوقه ســـــوى البطاطس ؟

فتطلعت اليه ، ودهشت لصوته الأجش المفاجى وحديثه المتقطع غير الواضح . وبدا لى كأنه مخمــور ، ربما بسبب عش الغراب . وبدا لى أيضا أنه مخطىء فى

ان يتخيل أنه قد اكتشف القمر ، انه لم يكتشفه ، لقد وصل اليه فقط ··· وحاولت أن أضع يدى على ذراعه وأشرح له ذلك ، ولكن كان من الصعب عليه أن يفهم ، كما أنه كان من الصعب على أن أعبر ·

وبطريقة ما ، نسيتهـــا الآن ، سرح عقــلى فى مشروعات الاستعمار ، **وقلت :**

ـ يجب أن نستحوز على القمر ونستعمره · انها امبراطورية لم يحلم بها قيصر ·· كافوريشيا ····· بدفورديشيا ··· بدفورديشيا المحدودة · يعنى ··· غير المحدودة ! عمليا !

ومنذ تلك الواقعة أصبحت ذاكرتى لحـادث عش الغراب مشوشة · أذكر بشكل غامض أننا أعلنا عـــدم خوفنا من أية حشرة بغيضة ، وأننا قررنا أنه من العار علينا أن نختبىء من مجرد مخلوق قمرى ، ولذلك سلحنا انفسنا بحمل كبير من عش الغراب وتقدمنا سائرين فى ضوء الشمس ·

ولا بد أننا التقينا بالمخلوقات القمـــرية ·· كان

هناك ستة منهم ، وكانوا يسيرون في رتل واحد فوق مكان صخري ، يصدرون أصواتا حادة ملفتة للانتباه . وبدوا أنهم جميعهم لاحظوا وجودنا في وقت واحد ، فقد صمتوا كلهم فجأة بلا حراك ، مثل الحيوانات ، مع اتجاه وجوههم نحونا .

وظللت متزنا رصينا لبرهة قصيرة ، **وهمس كافور قائلا :**

ـ حشرات .. حشرات ! ويعتقدون أنني سوف أزحف على معدتي !

ثم خطى خطوات ثلاث بشكل مفاجيء ، مع صيحة غضب ، وقفز نحوهم . ولكن قفزته كانت سيئة للغاية ، فلقد طار من فوقهم ، واختفى وسط نبات الصبار مع صوت سقوط هائل . ولا أدري ما فعلته المخلوقات القمرية وقامت به ازاء هذا الحدث المذهل .. يبدو أني أذكر منظر ظهورهم وهم يركضون في جميع الاتجاهات ، ولكني لست متأكدا . أعلم اني خطوت خطوة لألحق بكافور ، فتعثرت وسقطت على أم رأسي بين الصخور

.. واحسسست بأني مريض جدا بشكل مباغت . ويبدو اني أذكر أني دخلت في صراع عنيف ، وأن كلابـات معدنية قبضت على ..

الأمر الثاني الذي أذكره أننا أصبحنا سجينين في أعماق لا ندري مداها تحت سطح القمر ، كنا في ظـلام وسط أصوات غريبة ، وجسدينا كانا مثخنين بالجروح والكدمات وعانينا من صداع رهيب !

الفصل التاسع

وجه المخلوق القمري

وجدت نفسي جالسا في ظلام مملوء بالضجيج ، ولم أستطع أن أفهم ــ ولمدة طويلة ــ أين كنت ، ولا كيف أتيت هناك . ولم أستطع أن أدرك كنه الأصوات التي من حولي ، كما أنه كانت توجد رائحة واهنة في الهواء تشبه رائحة اسطبل ، **فقلت :**

ــ كافور ، لا نستطيع أن نحصل على ضوء ما ؟

فلم يأتي أي جواب ، **فناديت في اصرار :**

ــ كافور !

فاجابني بانين ، وسمعته يقول :

ـ رأسي ! رأسي !

حاولت أن أضغط بيدى على جبينى الذى كان يؤلمنى ، فاكتشفت أنهما مقيدتان · أذهلى ذلك للغاية ·· فرفعتهما الى فمى وأحسست بالنعومة البـــاردة للمعدن ·· لقد قيدتا سويا بسلسلة ، فحـــاولت أن أحرك ساقى ، فاكتشفت أنهما مقيدتان بشكل مماثل وأننى مربوط أيضا بالأرض بسلسلة سميكة ملتفـــة حول خصرى ·

وانتابنى خوف شديد ·· ولبرهة أخذت أجر نفسى بقيودى فى صمت ، ثم صرخت بشكل حاد :

ـ كافور ! لماذا أنا مقيد بهذه السلاسل ؟ لماذا قيدتنى ؟ لماذا ربطت يدى وقدمى ؟

فأجاب قائلا :

ـ اننى لم أقيدك ؟ انهم القمريون !

القمريون !!! وتجمد ذهنى على ذلك لفترة · ثم عادت لى ذكرياتى : فوهة البركان الثلجية ، ذوبـــان

الهواء ، نمو النباتات ، قفزنا وزحفنا بالشكل الغريب وعادت لى محنتنا كلها فى بحثنا عن الكرة الفضائية ٠٠٠ وأخيرا انفتاح الغطاء الكبير الذى يغطى الحفرة !

ثم عندما حاولت تتبع تحركاتنا الأخيرة هابطين الى وضعنا الراهن المحزن ، أصبح الألم فى رأسى لا يحتمل ، وقلت :

ــ كافور ، أين نحن ؟

ــ كيف لى أن أعرف ؟

ــ هل نحن ميتان ؟

ــ ما هذا الكلام !

ــ هل استولوا علينا ؟

فلم يحر جوابا ٠

ــ ماذا تنوى أن تعمل ؟

ــ كيف لى أن أعرف ماذا أعمل ؟

وعدنا للصمت ثانية ، منصتين لأصوات كئيبة مثل أصوات شارع أو مصنع بعيد . ولم أستطع أن أفسر ذلك ، ولكنى بدأت بعد ذلك أميز صوتا مختلفا أكثر حدة . ثم ظهر أمامى خط رفيع ساطع ، وهمس كافور بشكل واهن جدا :

ـ انظر !

ـ ما هذا ؟

ـ لا أدرى .

وأصبح الخط الرفيع الساطع شريطا ، ثم اتخذ شكل ضوء ضارب الى الزرقة يسطع على جدار مغسول أبيض .. فلويت رأسى قدر ما تسمح قيودى وقلت :

ـ كافور ، أنظر خلفك !

وفجأة اتسع الشق الذى كان يسمح بدخول الضوء ، وظهر أنه باب مفتوح ووقف فى مدخل الباب مخلوق له شكل غريب فى مواجهة الضوء المبهر .

كان له جسم نحيل وساقان قصيرتان ، ولكنه

كان بدون الخوذة والغطاء الذى يرتديه القمريون على أجسامهم ·

وتقدم ثلاث خطوات الى الأمام وتـوقف لبرهة · بدت حركاته بلا ضجيج على الاطلاق · ثم تقدم ثانية الى الأمام · كان يسير مثل طائر ، فقدماه تتحركـان الواحدة أمام الأخرى ·

ووقف في مواجهتنا نحن الاثنين في وسط الضوء· كان منظره مرعبا ·· فوجهه كقناع مفزع ·· ولم يصدر منه أى صوت ، وكـــان لهـــذا الشيء عينان غبيتان متورمتان على الجانبين · ولم تكن له أذنان ·· كان له فم مقوس الى أسفل ، مثل فم انسان شرس ·· أما الرقبة فكانت مقسمة الى ثلاثة أقسام تكاد تشبه المفاصـــل القصيرة في ساق سرطان البحر ·

ووقف هذا الشيء متطلعا نحونا !

وللوهلة الأولى توقف عقلى مذهـولا ازاء هـــذا المخلوق المستحيل المجنون · وأظن أنه كان مذهولا أيضا وربما لديه سببا للذهول أكثر منا ! لكنه لم يظهره !

ولك أن تتخيلنا ! كنـــا مقيدين من اليـــدين

والقدمين · متعبين وقذرين ·· وشعر ذقنينا طوله نحو بوصتين ، ووجهانا تغطيهما الخدوش والدماء ·· ولك أن تتخيل كافور في سرواله الخاص بركوب الدراجات (ممزقا في أماكن عديدة بسبب الشجيرات) وغطاء رأسه العتيق الخاص بلعبة الكريكيت، وشعره المشوش · ولعلي كنت في حالة أسوأ من حالته ، بسبب قفزتي من فوق نبات عش الغراب الأصفر · وكانت أقدامنا بدون أحذية ، وكل حذاء كان ملقى بجوار كل منا ، وكنا نجلس وظهرانا نحو هذا الضوء الأزرق الغريب ، محملقين في هذا المخلوق القمري ·

وكسر كافور السكون ، وبدأ يتكلم ، فتحشرج صوته ، فأخذ يسلك حنجرته بالتنحنح · وبدأ صوت خوار مروع في الخارج ، وكأنه عجل قمري ينازع ··· وانتهت بحشرجة وبصرخة ، وعاد كل شيء الى السكون مرة أخرى ·

واستدار المخلوق القمري ، وقف عند الباب للحظة ثم أغلقه علينا ، وبقينا مرة أخرى في هذا الظلام الغامض ، الذي استيقظنا عليه ··



كان وجهه يبدو كقناع مفزع .

الفصل العاشر

مستر كافور
يقدم بعض المقترحات

لم يتكلم أى واحد منا لفترة ، وقلت أخيرا :

ـ لقد تمكنوا منا .

ـ نبات عش الغراب كان السبب .

ـ حسن ... لو لم نأكله لكان قد أغمى علينا ومتنا جوعا ! ..

ـ ربما كنا قد عثرنا على الكرة .

وفقدت أعصابى بسبب اصراره وشتمت نفسى ولبرهة من الزمن بغض كل منا الآخر فى صمت ، ثم اضطررت للحديث مرة أخرى ، فسألت فى مذلة :

ـ ما هو الحل ؟ على أية حال ؟

ـ انهم مخلوقات حصينة عاقلة .. انهم قادرون على صنع أشياء وفعل أشياء ... هذه الأضواء التى رأيناها ..

وتوقف على الكلام ، كان من الواضح أنه ليس لديه حل .

ـ اننا داخل مكان ما فى عمق عدة آلاف من الأقدام .

ـ لماذا ؟

ـ ان الجو أكثر برودة ، وأصواتنا أكثر ارتفاعا ، والهواء أكثر كثافة . لا بد أننا فى الأعماق .. ربما فى مكان على عمق ميل داخل القمر .

فسألت :

ـ ماذا تظن قد حدث للكرة

فقال وكانه يجيب على سؤال سخيف :

ـ **فقدت .**

ـ بين تلك النباتات .

ـ **الا اذا كانوا قد عثروا عليها .**

ـ **وما هو الحل ؟**

ـ **لا أدرى !**

فقلت بمرارة :

ـ كافور ، لقد ولت الآمال ... يا الهى ! فكر فى كل المشقات التى تجشمناها للوصول الى هذا السجن المظلم ! لماذا أتينا ؟ ما الذى نسعى اليه ؟ لقد أردنـــا الكثير ، وحاولنا الكثير . انك أنت الذى اقترح القمر ! تلك الستائر الكافورية !!! اننى على يقين أننا كنـــا نستطيع استخدامها لأغراض أرضية .

وامتنع كلانا عن الكلام تماما . وبعدها أخذ كافور يحدث نفسه ، **فبدأ يقول :**

ـ اذا عثروا عليها .. ماذا سيفعلون بها ؟ حسن ، انها لمشكلة . انهم لن يفهموا كنهها ، على أية حال . لو أنهم فهموا هذه الأمور لكانوا قد جاءوا للأرض منذ أمد طويل . لكنهم أذكياء ومحبين لتقصى الحقائق . سوف يتفحصونها .. يدخلون فيها .. يعبثون فى ازرارها . أوف ! .. معنى ذلك أننا سنبقى فى القمر بقية عمرنا . مخلوقات غريبة ، معلومات غريبة ...

فقلت :

ـ بالنسبة للمعلومات الغريبة ...

ولكن اللغة لم تسعفنى ، فتحشرجت الألفاظ فى فمى ، فقال كافور :

ـ بدفورد ، لا تنسى أنك أتيت بمحض اختيارك . على أية حال ، لا جدوى من المشاجرة معى الآن . لقد قيدت هذه المخلوقات أقدامنا وأيدينا . ومهما كانت الحالة العصبية التى تختارها لمعالجة الأمور ، فعليك أن تكيف نفسك لمعالجتها .. أمامنا تجارب ومحن سوف تحتاج كل برود أعصابنا .

فقلت :

ـ اللعنة على علومك !

ـ المشكلة فى وسيلة الاتصال ··· التفاهم ··· فالايماءات والاشارات ستكون مختلفة ، مع الأسف · والانسان والقرود دون المخلوقات يستخدمون الاشارة · يوجد حديث بينهم ، فالأصوات التى يصدرونها ، هى نوع من النفخ والزمر · لا أدرى كيف نقلد ذلك ·· هل هذا هو حديثهم . هذا النفخ والنفث ؟ لعل لديهم حواس مختلفة ، ووسيلة اتصال مختلفة · طبعا لديهم عقول ، كما لدينا . لا بد أن هناك شيئا مشتركا · لعلنا نستطيع أن نصل الى نوع من التفاهم معهم ·

فقلت :

ـ استحالة ! انهم أكثر اختلافا عنا عن أغرب حيوانات الأرض · ما فائدة هذا الكلام ؟

وتكلم كافور وكانه يكلم نفسه :

ـ لا أرى ذلك · طالما أن لهم عقول فهناك تشابه بيننا ·· بالرغم من اختلاف الكواكب ·

ـ انهم لا يزيدون عن كونهم حيوانات · ان أرجلهم أكثر شبها بأرجل النمل الخلفية عن أرجل البشر ،ومن يستطيع أن يقوم بأى تفاهم مع نمل ؟

ـ ولكن هذه الماكينات وهذه الملابس ؟ لا ، لا أوافقك يا بدفورد · أذكر أنى قرأت مقالة للمرحوم البرفسور جالتون عن الاتصال بين الكواكب · تبدأ هذه الفكرة بالحقائق العريضة ، المبادىء الكبرى للهندسة مثلا · وعن طريق اثبات معلوماتنا هذه ، نستطيع أن نبرهن على أننا كائنات ذكية · لأفرض ، الآن أننى ··· أننى سأرسم شكلا هندسيا باصبع مبتل أو حتى رسمة فى الهواء ··

وخر صامتا ·· وعاد لى يأسى الحانق · وتخيلت بوضوح مفاجىء الغباء الغريب لكل شىء قد قمت به ، فقلت :

ـ يا لى من حمار أحمق عنيد ·· يبدو أن وجودى ليس الا لمجرد أن أقوم بأمور بلها · لماذا تركنا الكرة الفضائية ؟ لو كان قد خطر ببالنا أن نربط منديلا في عصا لتدلنا اين تركناها !

وأودف كافور قائلا :

ـ من الواضح ، انهم أذكياء ... طالما أنهم لم يقتلونا في الحال ، لا بد أن لديهم أفكارا عن الرحمة .. وهذه السلاسل ! درجة عالية من الذكاء ..

فصرخت قائلا :

ـ آه يا الهى لو اننى فكرت مرتين ! .. انها كانت ثقتى فيك ! لماذا لم ألتزم بمسرحيتى ؟ هذا هو مجالى ، وكنت قد أنهيتها بالتأكيد ، فلقد كدت انتهى من خطوطها العريضة . ثم .. تخيل ! قفزة للقمر !

وتطلعت الى أعلى .. ظهر الضوء الأزرق فى الظلام مرة أخرى . كان الباب يفتح ، وعديد من القمريين يدخلون الحجرة بلا صوت .. وأصبحت ساكنا كالحجر محملقا فى وجوههم الرهيبة . كان الأول والثانى يحملان أوعية تحتوى على قطع من أشياء بيضاء ، وحدقت فى هذه الأوعية بعيون شرهة . وأدنى أحد مخلوقات القمر وعاء نحوى . لم تكن ذراعاه تنتهيان بيدين ولكن بما يشبه زعفة وابهام ، أو نهاية خرطوم الفيل .

كان الطعام الذى فى الوعاء رخوا ورائحته تكـاد تشبه نبات الفطر أو عش الغراب · أعتقد أنها ولا بد لحم عجل قمرى ·

كانت يداى مقيدتين بشكل محكم حتى كـدت لا أستطيع الوصول للوعاء ، ولـكنهم عندما لاحظـوا المجهود الذى بذلته ، قام اثنان منهم بحل وثاق السلسلة الملتفة حول خصرى ·· فقضمت فى الحال ملء فمى من الطعام ·· ولم يكن كريها ، فأخذت قضمتين أخريين ·

أكلنا وشربنا بنهم · لم يحدث لى من قبل ولا من بعد أن شعرت بمثل هذا الجوع · ووقفـوا بيننـا يراقبوننا ويصدرون زقزقة طفيفة من حين لآخر ، وعلى ما أعتقد ، تقوم هذه الزقزقة مقام الحديث ·

الفصل الحادى عشر

تجارب فى الاتصال

ولما انتهينا من طعامنا ، قيد سكان القمر ايادينـا باحكام مرة أخرى ، ولكنهم أرخوا السلاسل عن أقدامنا قليلا ، وهذا لكى يعطونا حرية حركة محـــدودة . ثم فكوا السلاسل المحيطة بخصرينا ، **فقال كافور** :

ـ يبدو أنهم سيطلقوا سراحنا ، ولكن تذكر أننا على القمر ! لا تقم بحركات مفاجئة !

ـ هل ستحاول تلك الهندسة؟

ـ اذا سنحت لى الفرصة · ولكنهم ، بطبيعـــة الحال ، سيقومون بمحاولة أولا ·

وما أن انتهى سكان القمر من ترتيبــاتهم ، حتى تراجعوا مبتعدين عنا ، ولكنهم ، على ما يبدو ، كانوا يتطلعون علينا · أقول على ما يبـــدو ، لأن عيونهم فى جوانب وجوههم وليست فى الأمـــام · فالمرء يجد نفس الصعوبه فى تحديد الاتجاه الذى ينظرون اليه ، كالتى يجدها فى حالة الدجاج أو الأسماك ، وتحدثوا مـــع بعضهم البعض بأصواتهم المزاميرية ·· وانفتح البـاب الذى من خلفنا على مصراعيه ، وتطلعت من فوق كتفى فرأيت مساحة كبيرة غير واضحة وفيها جمهرة قليلـة واقفة من أهل القمر ، **فسألت كافور :**

ـ هل يريدونا أن نقلد هذه الأصوات ؟

فقال :

ـ لا أعتقد ذلك ·

ـ يبدو لى أنهم يحاولون أن يجعلونا نفهم شيئا ·

ـ لا أستطيع تفسير ايماءاتهم .

وجاء واحد منهم أقصر وأسمن كثيرا من الآخرين، وجلس فجأة بجانب كافور ووضع يديه وقدميه مقلدا كافور فى جلسته ثم نهض .. واقفا . فصحت قائلا :

ـ كافور ، انهم يريدوننا أن ننهض !

فقال وهو مندهش :

ـ تمام !

وتمكننا من الوقوف على أقـــدامنا بصعـــوبة ، فأفسح أهل القمر الطريق لنا وبدأوا يغردون بصوت أعلى .. ثم جاء قصيرهم السمين وربت على وجه كل منـــا بيديه التى تشبه أجهزة الاستشعار ، وسار نحو الباب المفتوح . وكان هذا أيضا سهل ادراكـــه فتبعناه . واقترب منا أربعة آخرون من أهل القمر عند مدخـــل الباب بخوذات مسننة وحاملين مهاميز طويلة ، والتصق بنا واحد من كل جانب ، أثناء دخـــولنا الكهف الذى صدر منه الضوء .

وهنا اكتشفنا مصدر الأصوات التي ملأت آذاننا منذ أن استيقظنا في الظلام • كانت كتلة ضخمة من آلة معقدة فى حركة نشيطة • وينبع الضوء الأزرق الغريب من هنا أيضا • كان ضوءا سائلا باردا يجرى فى قنوات عبر الكهف •

وبدا حجم الجهاز لأول وهلة معقولا ، ثم رأيت كم يبدو سكان القمر صغارا بالنسبة له ، فأدركت الحجم المهول للكهف والآلة • وتطلعت من هذا الجهاز الضخم الى وجوه أهل القمر باحترام جديد •

وكان وجه كافور المغطى بالضوء الأزرق مملوءا بالذكاء ، وقال :

ـ لا بد أنى أحلم ! بالتأكيد هذه الأشياء ••• ان الانسان لا يستطيع أن يصنع شيئا كهذا !

لقد مضى هذا المخلوق القمرى البسمين سائرا بضع خطوات دون أن يلتفت ، ثم رجع ووقف بيننا وبين الآلة الكبيرة •• ومشى فى الاتجاه الذى يريدونا أن نمشى فيه ، ثم قفل راجعا ، وربت على وجهينا بلطف ليجذب انتباهنا •

وتطلعنا أنا وكافور لبعضنا البعض ، ثم بادرته قائلا :

ـ ألا نستطيع أن نبين أننا مهتمون بالآلة ؟

فقال كافور :

ـ نعم ، سنحاول ذلك .

والتفت الى دليلنا وابتسم ، ثم أشار الى الآلة ، ثم الى رأسه ، ثم الى الآلة ثانية . ويبدو أنه تخيل أن اللغة الانجليزية المبسطة قد تساعد على فهم هذه الايماءات فقال :

ـ أنا أنظر .. أنا أفكر كثيرا جدا .. نعم .

نظر سكان القمر لبعضهم البعض وتحركت رؤوسهم الغريبة وزقزقوا ، ثم لف أحدهم ، مخلوق طويل ، يده التى تشبه خرطوم الفيل حول خصر كافور وسحبه برفق ليتبع دليلنا ، الذى استمر فى المشى مرة أخرى .

وقاوم كافور قائلا :

ـ لعلنا الآن نستطيع أن نعبر عن أنفسنا ، اذ لعلهم يعتقدون أننا حيوانات جديدة ، نوع جديد من عجول القمر ٠٠ ربما !

وبدأ يهز رأسه بعنف ، **وهو يقول :**

ـ لا ، لا ٠٠ لن أمش من هنا ٠٠ أريد التطلع للآلة ٠

وزقزقت المخلوقات القمرية ثانية ، ثم ولول كافور صارخا فجأة ، وقفز حوالى ستة أقدام أو أكثر ! لقد لكزة أحد رجال القمر المسلحين بمهمازه ٠

واستدرت نحو حامل المهماز الذى خلفى بايماءة تهديدية سريعة ، فتراجع جافلا ٠ وأدهش ذلك ، مع صرخة كافور وقفزته المفاجئة ، كل هذه المخلوقات القمرية . فتقهقروا مسرعين ووقفوا فى مواجهتنا ؛ ووقفنا فى وضع غاضب ، وهذه الكائنات غير البشرية من حولنا ، **وقال كافور :**

ـ لقد لكزنى !

فاجبته قائلا :

ـ نعم قد رأيته ·

وقلت للمخلوقات القمرية :

ـ اللعنة على ذلك ! لماذا تأخذونا بحق السماء !

وخطفت نظرة سريعة يمينا وشمالا ، فرأيت من بعيد عبر الكهف الأزرق ·· عددا من المخلوقات القمرية الأخرى تركض نحونا ·· كانوا عراضا نحافا ، وكان أحدهم ذا رأس أكبر من الآخرين · واتسع الكهف وانحدر للخلف فى كل اتجاه داخل الظلام ··· ولم يكن هناك مفر منه · فوق ، تحت ، فى كل اتجاه ·· يواجهنا المجهول ، وهذه المخلوقات غير البشرية بمهاميزهم وايماءاتهم ·

الفصل الثاني عشر

الجسر الطـائش

أدركت أثناء وقوفنا في ذلك الكهف الأزرق ، أننا سوف نطوق ونقتل لا محالة · جاء كافـــور بجانبى ، والقى بيده على ذراعى وهو يبدو شاحبا ومذعـــورا ، وقال :

ـ لا نستطيع أن نفعل شيئا ، انهم لا يفهمون · يجب أن نذهب حيث يريدون ·

واستدار وقادنى فى الاتجاه الذى قد بينوه لنا ·· وتبعته وأنا أشعر بوطء السلاسل حول رسغى ، ودمى كأنه يغلي · كانوا فى بداية الأمر يمشون محازين لنا

على بعد مسافة معقولة ، أما الآن فلقد التحق بهم ثلاثة آخرون وازداد اقترابهم منا ، وقادنا ذلك المخلوق القمرى الأكثر سمنة وقصرا من الآخرين ٠

ورأينا عندئذ ما يشبه القناة تقطع أرضية الكهف وتجرى على طول طريقنا ٠ كانت مليئة بذلك الضوء الأزرق البارد الذى يفيض من الآلة الكبيرة ٠٠ وسرت بجانبه مباشرة ، كان يسطع بشكل متوهج ، ولكنه لم يكن يشع أية حرارة ٠

وصلنا أخيرا الى نفق واسع ، استطعنا فيه أن نسمع صوت أقدامنا الحافية ، ومن حين لآخر تبرق بلورات فى جدران النفق مثل الجواهر النفيسة ، ومن حين لآخر يتسع النفق ليصبح كهفا ، أو يتشعب الى أفرع تختفى فى الظلام ٠

يبدو أننا كنا نمشى هابطين ذلك النفق لمدة طويلة ٠٠ واستمر فيضان الضوء برفق مصدرا صوت قطرات الماء ٠٠ واستقر ذهنى فى موضوع السلاسل التى تقيدنى ٠ لو تملصت من احدى لفاتها ، هل سيلاحظون ؟



وانسكب المجرى الضوئى فى خليج عميق

وقال كافور :

ـ بدفورد ان الطريق ينحـــدر بنا . انـــه في انحدار مستمر .

اخرجتني ملاحظته من أفكاري ، **واستطرد قائلا :**

ـ لعل هذه المخلوقات القمرية من طبقه متدنية . انهم يفكرون اننا مجرد حيوانات غريبة . لعـــل هناك آخرون أقل غباء ، وهذه هي مجرد القشرة الخارجيـــة لعالمهم . لابد أنها تهبط وتهبط .. هذا الكهف والممر والنفق .. هل ستهبط أخيرا الى بحر على بعد مئات من الأميال الى أسفل .. ؟!

جعلتني كلماته أفكر وأتخيل ميـــلا أو أكثر مـــن الصخور والانفاق قد تكون من فـــوق رؤوسنا الآن . وأصبحت وكأنها حمل يقع على كاهلي ، **فقلت :**

ـ بعيدا عن الشمس والهواء ، حتى لو كان ذلك منجما عمقه نصف هذه المسافة فسوف يكون الهـــواء فاسدا .. !

ـ انه ليس كذلك ، على أية حال . ان التهوية جيدا جدا .. فذلك النفق الذى مررنا فيه ، مثلا ، كنت أشعر فيه بنسيم لطيف . ويا له من عالم داخل هذه الحفرة .. وتلك الآلات العجيبة .. !

فقلت :

ـ والمهاميز . لا تنسى المهاميز !

ـ حتى تلك المهاميز .. كنت حانقا ساخطا فى ذلك الوقت ، ولكن لعله كان من الضرورى أن نستمر ... ان لهم بشرة مختلفة ، وربما أعصاب مختلفة أيضا .

واستمر فى الحديث عن العالم الضخم المدهش الذى يقودونا داخله ، وتكلم كثيرا عن الآلات والمخترعات بالرغم من آلاف الأخطار التى تحيط بنا ، وليس الأمر أنه ينوى الاستفادة باستخدام هذه الأشياء ، وقال :

ـ على كل ، فهذه مناسبة هائلة ... اجتماع عالمين ! .. وماذا سنرى ؟ فكر فيما هو تحتنا هنا . سيكون تحتنا كل شىء .. هل لاحظت اختلاف كل

واحد منهم عن الآخر ؟ يالها من قصة سف نعود بها الى الأرض

واستمر فى الحديث عن امكانية معرفتهم لامور لم يكن يأمل أن يعلمها على الأرض ، ونسيت الكثير مما قاله ، لا ستحواز النفق الذى نسير فيها على كل انتباهى ، والذى لاحظت أنه يزداد اتساعا أكثر فأكثر ٠ وبدا ، من الاحساس بالهواء ، اننا نخرج الى فضاء واسع ٠٠

كنا نقترب من منحدر شديد ، وعندما وصلنا الى حافة المنحدر رأينا أن المجرى الساطع ينسكب فى خليج عميق ٠٠

وانعكس شىء يشبه لوحا خشبيا من حافة الجرف ممتدا متلاشيا ومختفيا فى نفس الوقت ، ويهب من الخليج هواء دافىء ٠٠ ووقفت أنا وكافور بالقرب من الحافة على قدر ما تجاسرنا محدقين فى الخليج الأزرق السديمى ، وعندئذ جاء دليلنا يسحبنى منذراعى ٠

ثم تركنى وسار الى بداية اللوح الخشبى وخطى

فوقه ناظرا خلفه .. ثم استدار ومشى فوقه وكأنه يسير على أرض ثابتة . وكان واضح المعالم لبرهة ثم اختفى في الظلام .

ووقفت المخلوقات القمرية الأخرى مستعدة لاتباعه من بعدنا ، **وسألت :**

ـ ما الذي يوجد هناك ؟

ـ لا أستطيع أن أرى .

فقلت :

ـ لا نستطيع أن نعبر هذا بأى شكل !

فقال كافور :

ـ لا أستطيع أن أسير عليه أكثر من ثلاث خطوات، حتى ولو كانت يداى متحررتين . انهم لا يعرفون معنى الدوار ولا يصابون به مثلنا . لقد راقبتهم . انهم لا يدركون أننا لا نستطيع أن نرى فى هذه العتمة . كيف نستطيع أن نجعلهم يفهمون ؟!

كان من المستحيل أن نجعلهم يفهمون · حسن ، اننى سوف لا أسير فوق اللوح الخشبى ، على أية حال ، واخرجت معصمى بسرعة من لفة السلسلة التى كانت غير محكمة ، ثم بدأت ألوى يدى فى الاتجاه المعاكس · كنت واقفا بالقرب من الجسر ، وعندما فعلت ذلك قام اثنان من أهل القمر بالقبض على وسحبونى برفق نحوه · فهززت رأسى بعنف ، وقلت :

ـ لا فائدة ، انكم لا تفهمون ·

فسحبنى قمرى آخر ، واضطررت أن أسير ، وانا ابين لهم قائلا :

ـ انتبهوا لى ! انه أمر هين بالنسبة لكم ··

وقفزت مستديرا على عاقبى ، وانفجرت لاعنا ، حيث أن القمرى المسلح قد لكزنى من خلفى بمهمازه ، فالتفت اليه صارخا :

ـ عليك اللعنة ! لقد حذرتك من فعل ذلك · من اى مادة تظننى مصنوعا لتغزنى بهذا ؟ لو لمستنى مرة أخرى ··

فأجاب على بوخزة أخرى .

ويبدو أن الألم الحاد لهذه الطعنة الثانية أطلقت بعضا من الطاقة الكامنة فى ، وانكسرت فى الحال السلسلة التي حول معصمي ، وأصابنى جنون الخوف والغضب ، ولم أعبأ بالعواقب ، ولكمت وجه هذا الشيء حامل المهماز ، والتفت السلسلة حول قبضتي ..

وهنا حدثت مفاجأة . لقد اخترقت يدى وجه هذا المخلوق . وتحطم مثل قطعة حلوى فى داخلها عصير . لم أصدق أن كائنا حيا يمكن أن يكون بهذا الضعف والوهن .

وتراجع عنا نحن الاثنين أهل القمر الآخرون وكافور أيضا .. وقمت بمواجهة ثلاثة من حاملي المهاميز ، وأطلق على أحدهم مهمازه فى الحال ، فطارت من فوق رأسي وكادت تصيبنى ، فقفزت عليه بكل قوتي ، فالقيته أرضا وألقيت بنفسى فوقه ، فانزلجت من فوق جسده المحطم وسقطت .

واعتدلت جالسا ، وكانت المخلوقات القمرية

تختفى فى الظلام من عن يمينى ويســـارى ، فكسرت السلسلة التى تقيد يدى .. ونهضت واقفا على قدمى والسلسلة فى يدى .. ثم استدرت خلفى نحو كافـور الذى كان لا يزال واقفا فى ضوء المجرى مشغولا بالقيد الذى فى يديه وناديت عليه بصوت مرتفع :

ـ تعال :.

فاجاب :

ـ يداى !

وجاء نحوى ويداه مفرودتان أمامـــه ، فأمسكت بسلاسله على الفور وبدأت فى فكها ، فقال لاهثا :

ـ أين هم ؟

ـ هربوا ، ولكنهم سوف يعودون .. انهم يلقون بأشياء ! الى أين سنذهب ؟

ـ بجانب النور .. الى ذلك النفق .

واستطاع أن يحرر يديه عندئذ ، ثم حررت لـــه قدميه وأعطيته السلسلة ، وقلت له :

ــ اضرب بهذه !

وبدون انتظار لاجابة ، انطلقت فى قفزات كبيرة على طول الممر الذى جئنا منه ، وقفز كافور من خلفى .

وركضنا بخطوات واسعة ، ورأيت أحـدهم يركض أمامى ، وسمعته يزعق وهو يفر من طريقى . وبعـــد خطوة واسعة أخرى ظهرت الجدران الصخرية على كلا الجانبين .. وبعد خطوتين أخريين أصبحت فى النفق ، فتوقفت واستدرت خلفى فرأيت كافور يغوص فى مجرى النور الأزرق فيتناثر النور فى كل خطوة من خطواته على شكل قطرات . ووقفنا ممسكين ببعضنا البعض . لقد تخلصنا من آسرينا ، لبرهة على الأقل ، واصبحنا وحدنا .

كنا مقطوعى النفس تماما ، فقال كافور لاهثا :

ــ لقد أفسدت كل شىء !

فصحت قائلا :

ـ كلام فارغ · كان هذا والا فالموت الزؤام (١) ·

ـ ماذا نفعل الآن ؟

ـ نختبىء · فوق احدى هذه التجاويف الجانبية ·

وركضنا الى أن وصلنا الى تجويف جانبي يشبه الكهف الكبير ، وكان كافور في المقدمة ، فقال :

ـ انه مظلم !

ـ ان ساقيك وقدميك سوف تضيء لنا · انك مبتل بهذه المادة المشعة ·

وسمعنا أصواتا تقترب من النفق الرئيسى ، الذى يدل على أنهم فى أثرنا ·· فاندفعنا الى تجويف الجانب غير المضيء · وبعد برهة أصبحت الضجة أخفت وأقل ، ثم اختفت تماما ، وهمس كافور قائلا :

ـ بدفورد ، يوجد ما يشبه الضوء أمامنا ·

تطلعت ولم أستطع فى البداية أن أرى شيئا ، ثم

---

(١) الموت العاجل ·

رأيت رأسه وكتفيه مرسومة بشكل باهت مقابل ضــوء خافت . لم يكن هذا الضوء الغامض ضوءا أزرق ، ولكنه كان رماديا شاحبا أو أبيض باهتا ، لون ضوء النهار . ولاحظ كافور هذا أيضا ، **فهمس قائلا :**

ـ بدفورد ، ذلك الضوء ... هل يمكن ..

لم يجرؤ على قول الشيء الذى يأمله . وفجأة علمت عن طريق صوت أقدامه أنه يخطو نحو ذلك الضــــوء الباهت . فتبعته بقلب مضطرب ..

الفصل الثالث عشر

وجهـات نظـر ..

ازداد الضوء قوة مع تقدمنا ، وأخذ النفـق الذى نسير فيه يتسع ويتحول الى تجويف كبير ، وكان هذا الضوء الجديد يقبع فى الطرف الآخر البعيد ، مع انبعاث ضوء رمادى فضى من أعلى ، وفى لحظة أخرى أصبحنـا تحته ، حيث جاء الى أسفل عبر شق ضيق فى جـدران التجويف ، وعندما حملقت عاليا سقطت قطرة ماء على وجهى ، فقلت :

ـ كافور ، اذا رفع أحدنا الآخر لاستطعنا أن نصل لهذا الشق !

فقال :

ـ سوف أرفعك ٠

ورفعني في الحال وكأنني طفل صغير ٠ ودسست يدى فى الشق ، فوجدت افريزا صغيرا يمكنني الامساك به ٠ سحبت نفسى الى أعلى باصبعين ومجهود لا يكاد يذكر ، بالرغم من أن وزنى على الأقل يزيد عن سبعين كيلو جرام ، وهكذا وضعت قدمى على الافريز ، ثم وقفت ورفعت الصخور بيدى فاتسع الشق للخارج من فوقنا ، ثم سحبت كافور من ورائى ، وبدأنا نتسلق الى أعلى ٠

وواصلت التسلق لمدة دقائق ، ثم تطلعت الى أعلى مرة أخرى ، فرأيت الشق يفتح على الخارج رويدا رويدا ، والضوء يزداد سطوعا ٠

لكنه لم يكن ضوء النهار !

وبعد برهة وجيزة استطعت أن أرى ، وتتضح الرؤية ٠٠ وكدت أضرب رأسى فى الصخور من خيبة

الأمل ، اذ شاهدت أمامي أرض فضاء منحدرة ومغطاة بغابة من نبات الفطر الذى يشبه الهراوات • وكل واحدة منها تسطع بالضوء الفضى بشكل متألق •• فقفزت بينها واقتلعت بعضا منها والقيت بها باهتياج على الصخور ، وجلست وأنا أضحك بمرارة وعندما ظهر وجه كافور ، فقلت :

ـ لا داعى للعجلة ، اجلس وارتاح كأنك فى بيتك •

فقال :

ـ ظننت أنه ضوء النهار •

فصرخت :

ـ ضوء النهار ! طلعة الفجر •• ساعة الغروب •• السحب والسماء العاصفة ! هل سنرى هذه الأشياء مرة أخرى ؟

هنا ، نحن فى هذا العالم البهيمى مع محيطه الحبرى فى الأعماق السوداء ، وكل تلك الأشياء التى تطاردنا

الآن ، مخلوقات بهيمية من الجلد ·· مخلوقات حشرية ·· وكل ما نعرفه أن الكوكب كله على قدم وساق فى ملاحقتنا · ماذا نحن فاعلون ؟ أين علينا أن نذهب ؟

فقال كافور :

ـ انها غلطتك ·

فصحت :

ـ غلطتى ! يا اله السماوات !

ـ انى أفكر !

ـ اللعنة على افكارك !

ـ لو كنا رفضنا التحرك لكانوا حملونا فوق الجسر · لا بد أنهم كانوا سيحملوننا من الخارج ·

وفجاة لاحظت شيئا اطار عقلى ، فقلت :

ـ كافور ، ان هذه السلاسل مصنوعة من الذهب !

فنظر الى محملقا ثم تطلع ببطء فى السلسلة الملتفة حول يده اليمنى **وقال :**

ـ انها كذلك ، انها كذلك !!

جلست لحظة متحيرا ‥ اننى لم الحظ ذلك الا الآن ، الى أن تذكرت الضوء الأزرق الذى كنا فيه والذى قد سحب لون المعدن تماما ، وبدأت أجول فى قطار من الأفكار الذى حملنى بعيدا ‥ ذهب !!

وقال كافور :

ـ يبدو لى انه يوجد طريقين مفتوحين أمامنا ·

ـ حسن ؟

ـ اما أن نشق طريقنا ‥ ونقاتل اذا اضطررنا لنخرج من هذه الأعماق للسطح الخارجى مرة أخرى ، ونبحث عن كرتنا الفضائية حتى نعثر عليها ، واما ···

وسكت ، فقلت ، وكأنى اعرف ما سيأتى :

ـ نعم ؟

ـ يجب أن نحاول مرة أخرى أن ننشىء نوعا من التفاهم مع عقول هؤلاء الناس فى القمر ·

ـ بالنسبة لى . انه الطريق الأول .

ـ لا يمكن أن نحكم على أهل القمر على ضوء ما قد شاهدناه منهم . ان عالمهم المتحضر سيكون تحت فى التجاويف العميقة حول بحرهم . ان هؤلاء الكائنات القمرية التى رأيناها ربما ما هم الا رعاة البقر وعمال الماكينات فى القمر . اذا استطعنا أن ندافع ونحمى أنفسنا من هؤلاء العمال ، واذا استطعنا أن نصمد لمدة أسبوع آخر ، فمن المحتمل أن تصل أخبار ظهورنا الى مناطق أكثر ذكاء ...

ـ وما يدريك أن هؤلاء الأكثر ذكاء يهتمون بشأننا أو بعالمنا ؟ لا أعتقد أنهم حتى سيعرفون أن لدينا عالما خاصا بنا .. انهم لا يخرجون أبدا فى الليل .. لعلهم يتجمدون اذا فعلوا . ولعلهم لم يروا على الاطلاق أى جرم سماوى فيما عدا الشمس اللافحة . كيف لهم أن يعرفوا أن هناك عالما آخر ؟ وماذا يهم بالنسبة لهم اذا كانوا يعرفون ؟ وما الذى يغريهم بأن يزعجرا

أنفسهم ليراقبوا السماء ؟ فالناس على الأرض ما كانوا يفعلون ذلك الا من أجل فصول السنة والابحار ٠٠

ـ ماذا أقول سوى أننا فى مأزق ، لقـد أتينا الى هنا غير مسلحين ، لقد فقدنا كرتنا ، وليس لدينا طعام ، لقد أظهرنا أنفسنا لسكان القمر ، وجعلناهم يعرفون أننا غرباء ويعتقدون أننا حيوانات قوية وخطيرة ، وسـوف يطاردوننا حتى يعثروا علينا ويقتلونـــا ، الا اذا كـــان هؤلاء القمريون أغبياء تماما ٠٠ وهكذا ينتهى الأمر ٠

ـ أكمل ٠

ـ ومن ناحية أخرى ، ها هو الذهب لأى شخص يعبأ بأن يأخذه ٠ آه لو استطعنا أن نعود ببعض منه ، اذا استطعنا فقط أن نعثر على كرتنا قبل أن يعودوا الينا ٠٠ لوضعنا الأمر فى نصابه السليم ٠ ونعود فى كرة فضائية أكبر ومزودين بالسلاح ٠

فصرخ كافور ، وكأنه يستنكر ذلك :

ـ يا الهى !

فقلت :

ـ اسمع يا كافور ، ان لدى نصف الأصوات فى هذه العملية وهذه هى حالة الانسان العملى · وأنا رجل عملى ، أما أنت فــلا · اننى لن أثق فى القمــريين والحسابات الهندسية مرة أخرى · هذا كل شىء ، دعنا نرجع ·· ثم نعود ثانية ·

وشرد بفكره وهو يقول :

ـ عندما اتيت للقمر كان يجب أن آتى بمفردى ·

فقلت :

ـ الموضوع الذى نناقشه هو كيف نعود الى كرتنا·

فقال كافور :

ـ من الواضح انه أثناء وجود الشمس على هــذا الجزء من القمر ، سيهب الهواء عبر هذا الاسفنج القمرى من الجانب المظلم هنا ·· حسن جدا ، ها هو تيــار هواء ·· ألا تحسه ؟!

ـ بلى ·· أحسه وماذا فى ذلك ؟!

ـ معنى ذلك أن هذا ليس بطريق مسدود ، فمن خلف هذا الشق يستمر الطريق صاعدا الى أعلى · ان التيار يهب الى أعلى ، وهذا هو الطريق الذى يجب أن نسلكه ·

وفجأة سمعنا همهمة غير واضحة ، ثم صوت طرقعة، فقال كافور :

ـ انهم قادمون من هذا الممر · انهم لن يفكروا فى الشق · انهم سيمرون به ويستمرون فى طريقهم ·

فقفزت على قدمى :

ـ يا اله السموات ، كافور ! سوف يرون نبات الفطر الذى القيت به · سوف ··· !

ولم أكمل جملتى ، وقفزت فوق قمم نبات الفطر نحو الطرف العلوى من التجويف الكبير ، الذى تحول الى اتجاه صاعد وأصبح شقا متدفق الهواء ثانية ، وكدت اتسلقه عندما خطرت فى ذهنى فكرة ذكية ، فعدت

وحصلت على اثنين من نبات الفطـــر المتلالىء ووضعت واحدة منهما فى صدرى وأعطيت الأخرى لكافور ، وبدأت أتسلق بنشاط وقوة خلف أقدام كافور المشعة باللــون الأزرق .

الفصل الرابع عشر

قتال في كهف جزارى القمر ..!

واصلنا التسلق صاعدين فى الشق الى أن وصلنا اخيرا الى اطار من القضبان الذى أعـــاق طريقنـــا . واستطعنا عبر القضبان أن نرى تجويفا كبيرا خـــافت الاضاءة فيه عدد من أهل القمر منغمسين فى العمل . وبعد ثنى اثنين من القضبان تمكنت من النفاذ للداخل ، ولحق بى كافور . واختبأنا فى فجوة بجـــانب اطار القضبان ، واختلسنا النظر من مخبـــأنا على التجويف والعاملين فيه .

. . . .

كان هناك عدد من عجـــول القمر الميتة فى صف بطول التجويف وكان القمريون يقطـعون لحـــومها الى شرائح ، وكانت هناك عربة كبيرة محملة بهذه الشرائح ·· كانت تجرى صاعدة انحدار أرضية التجويف · كانوا يستخدمون فؤوسا صغيرة مصنوعة من معدن سلاسلنا نفسه ! وعددا من العتلات التى تبدو ثقيلة جدا موضوعة على الأرض ، من الواضح أنها قد استخدمت لقلب عجول القمر الميتة على جوانبها ·

وفجأة سمعنا أصواتا من الشـــق أسـفل منا ، فانكمشنا فى موضعنا كالأموات ، مع تيقظ كل حواسنا · كان شيء ما يصعد بهدوء داخل الشـــق ، فأمسـكت بسلاسلى متشبثا بها وانتظرت ظهـــور هـذا الشيء · واستطعت بعدئذ أن أسمع الزقزقة النـــاعمة للقمـريين الصاعدين ، واندفع رمح نحوى فقبضت عليه وسحبته بعيدا ، وأخذت أطعن به عبر القضبان وسط صراخ قادم من الظلام ·· وحطم كافور رمحا آخر ، وكان يطعن به بشكل غير فعال ، ثم جاء فأس طائرا عبر الهواء وارتطم فى الصخور ·



كان القمريون يقطعون اللحوم الى شرائح

كان الجزارون كلهم قـادمين نحـونا ملـوحين نفؤوسهم • كانوا مخلوقات قصـيرة وسميكـة بأذرع طويلة مختلفين بشكل ملفت للنظر عن القمريين اللذين شاهدناهم من قبل • وحملقت فيهم للحظة والرمح فى يدى ، **وصرخت لأخيفهم :**

ــ راقب هذه القضبان يا كافور !

واندفعت لملاقاتهم ، فولوا هاربين داخل التجويف ، فالتقطت اثنين من العتلات الثقيلة وطـاردتهم لمسـافة قصيرة ثم عدت لأبحث عن كافور الذى غادر موضعـه وكان قادما الى ، وظهر قمرى نحيف يحمل شيئا يشبه البندقية ، ويناضل فى طاقة القضبان ، فاندفعت نحوه ، محركا العتلة التى فى يدى بحركة دائرية وصارخا لافساد هدفه • كان يصوب بطريقة غريبة جدا ، وفجأة • • • « تشوزز » •• !!

لم يكن الشىء بندقية ، لقد انفرج مثل القـوس واسقطنى سهمه بينما كنت أقفز •• ولما كانت العتلـة فى يدى اليمنى ، فضربت بها القمرى ببساطة . فانهار

... وتحطم رأسه كالبيضة ، ثم انطلقت وراء الجمهرة الصاعدة فى التجويف ، وأثناء **انطلاقى صاح كافور** :

ـ بدفورد ! بدفورد !

اذكر أنه كان يقفز خلفى ، ومع كل قفزة كـــان الكهف يزداد بأعداد من القمريين ٠ كانوا جميعهم فى البداية يركضون كالنمل المذعور فى جحره ، ثم ظهـــر آخرون حاملين رماحا ٠ طاخ طـــوخ !! ٠٠ طار شىء ما فوق رأسى ٠٠ طاخ طوخ ، طاخ طوخ !! ٠٠ وأصبح كالمطر لبرهة ٠

لا أعتقد أنى فكرت بوضوح عندئذ ٠ أعرف أنى قمت باندفاع نحو الفضاء الكائن بين عجلى القمر الميتين ووقفت هناك لاهثا ٠

قال كافور لاهثا خلفى :

ـ بدفورد ، بدفورد !

فتطلعت خلفى وقلت :

ـ ماذا ؟

كان يشير الى أعلى فوق عجول القمر ، **وقال** :

ـ ضوء أبيض ! ضوء أبيض مرة أخرى !

وتطلعت الى أعلى ، وكانت حقيقة ·· ويبدو أن هذا أعطانى قوة مضاعفة ، فعلقت سترتى فوق عتلتى وانطلقت بسرعة حول عجل القمر التالى ، ثم رفعت سترتى الى أعلى ··· « تشوززز ·· ززز ·ززز ·· زز ! تشوززز !» ·· وارتشقت بالسهام فى الحال · فانقضضت عليهم ·

وأصبحت مذبحة فى دقيقة واحـــدة ، وأنا أضرب فيهم شمالا ويميناً وأسحقهم ، وطارت الحـــراب من حولى ، واصابتنى واحدة منهم باصابة خفيفة فوق أذنى، وطعنت مرة أخرى فى ذراعى وأخرى فى خدى ، ولكنى اكتشفت ذلك فيما بعد ·

وفجأة توقف القتال ، ولم يعد هناك سوى قليل من القمريين الذين ولوا هاربين ·· وتطلعت لبرهة الى الأجساد المهشمة والتى تنازع وهى مبعثرة فوق أرضية التجويف وبعدها أقلعت مسرعا وراء كافور ··

الفصل الخامس عشر

فى ضوء الشمس ..

وبعد ذلك وجدنا أنفسنا فوق ما يشبه بهو منحدر نحو حفرة مستديرة فسيحة ، ويجرى هذا البهو حول هذه الحفرة بدون اى حائط او اية حماية لمسافة استدارة ونصف ، ثم ينغمد مرتفعا عاليا داخل الصخر ثانية . وكانت فوق رؤوسنا فتحة مستديرة نستطيع منها رؤية ضوء الشمس الأبيض . وعندئذ صحنا سويا بصوت عال ، وقلت وأنا أقود الطريق :

ـ تعال ! اتبعنى !

وخطا كافور بحرص شديد بالقرب من حافة البهو ونظر الى أسفل فى الهاوية المظلمة ، **وقال :**

ـ لا بد أن هذه هى القصبة التى تشبه المدخنة التى ظهرت لنا حين كنا فى أعماق النفق ٠

ـ نعم ٠٠ حيث رأينا الأضواء ٠

فقال :

ـ الأضواء ! نعم ٠٠ أضواء العالم الذى لن نراه أبدا !

فقلت :

ـ سوف نعود ٠

ولم أسمع رده على ٠

كان طول البهو الحلزونى حوالى أربعة أو خمسة أميال ، ويهبط فى انحدار شديد يستحيل تسلقه على الأرض ، أما على القمر فكان ذلك سهلا ٠ وأخيرا جئنا الى الفتحة الخارجية ٠

أصبحت نباتات القمر الآن جافة وميتة ، وكبس الضوء علينا مع الحرارة ، وجعلنا الهواء الواهن نتنفس ونتكلم بصعوبة • وأخيرا جلسنا لاهثين وسط الشجيرات • وكان ملمس الصخر ساخنا حتى فى الظل •• كنا متعبين تماما ، ولكن الخوف واليأس وقسوة هروبنا عبر الممرات المعتمة والشقوق السفلية قد تركتنا، فقلت :

ـ كافور ! ماذا هم فاعلون الآن ؟ وماذا نحن فاعلون ؟

فهز راسه ، وعيناه مثبتتان على النفق وقال :

ـ كيف لى أن أعرف ما هم فاعلون :

فقلت :

ـ لو أشعلنا النيران وسط كل هذه النباتات الجافة ، لاستطعنا أن نعثر على كرتنا الفضائية وسط الرماد •

ويبدو أن كافور لم يسمع • كان يتطلع من تحت

يده على النجوم التى مازالت مرئية فى ضوء الشمس الساطع ، واخيرا سالنى :

ـ كم تعتقد مضى علينا هنا ؟

ـ ربما يومين من أيام الأرض ٠

ـ أكثر ، حوالى عشرة ٠ ان الشمس تغوص فى الغرب ، وفى خلال أربعة أيام أو أقل سيأتى الليل ٠

ـ ولكننا أكلنا مرة واحدة فقط ! لماذا يبدو الوقت مختلفا ، ألأننا فوق كوكب أصغر ؟

ـ لا أدرى ٠٠ ولكن كل شىء مختلف ! ٠٠ الجوع ، التعب ، كل شىء ٠٠ !

فقلت :

ـ عشرة أيام ، وبعد أربعة أيام تظلم دنيا القمر ٠ ! كافور ، لا يجب علينا أن نجلس هنا ونحلم ٠ يجب أن نضع علامة على المكان ، حتى يمكننا التعرف عليه ٠٠٠ نضع علما أو منديلا ٠٠٠ ونقسم الأرض الى أجزاء ونقوم بالبحث من حول كل منطقة ٠

فقال كافور :

ـ نعم ، ليس لدينا حل آخر ، سوى البحث عن الكرة الفضائية . فلعلنا نجدها . واذا لم نجدها ...

ـ لا بد أن نستمر في البحث .

وافزعني عندما قال فجاة :

ـ آه ! لقد تصرفنا بحماقة ! فكر فيما كنا يجب أن نفعله ! هنا تحت أقدامنا عالم بأسره . تجاويف تحت تجاويف ، وانفاق ، وطرق . لا بد أنها تفتح وتكبر وتتسع وتزداد سكانا كلما نزلنا الى أن نصل الى البحر الذى يحيط بالجزء المركزى من القمر . ربما لديهم سفن تبحر فوقه ، ربما كانت هناك مدن هائلة ، وحكمة ونظم تفوق عقل الانسان . وقد نموت فوقها ولا نرى هؤلاء السادة الذين يتحكمون فى كل هذه الأشياء !

فقلت :

ـ يمكن أن نعود ، وعندئذ نستطيع أن نحضر

معنا مصابيح ومعدات تسلق ومئات الأشياء الضرورية ·

ووقف يتطلع مذهولا عبر الفوهة البركانية . وتنهد اخيرا وقال :

ـ انني أنا الذي وجدت الطريق الى هنا ، ولكن ايجاد طريق ليس معناه دائما أن تصبح متحكما فيه · ماذا سيحدث اذا رجعت بسرعة الى الأرض ؟ انني لا أدري كيف استطيع الاحتفاظ به لسنة أو حتى لجزء منها ·· فان آجلا أو عاجلا لا بد أن يذاع · وعندئذ ·· ستصارع الحكومات ومراكز القوى للوصول الى هنا ، سوف يقاتلون بعضهم بعضا ويقاتلون هؤلاء القمريون أيضا · وبعد فترة وجيزة سيغطي هذا الكوكب أموات من البشر ·

ـ ولكن دعنا من هذا القلق الآن ، فأمامنا فرصة ضئيلة للعثور على الكرة الفضائية · ان مشاكلنا لا تزال في بدايتها · لقد أبدينا العنف لهؤلاء القمريين ، ولا بد أن أخبارنا تسري هابطة من دهليز الى آخر في اتجاه الأجزاء المركزية ·

فقلت :

ــ اننا لا نغتنم الفرصة بجلوسنا هنا ٠

ووقفنا جنبا الى جنب ، **وقال :**

ــ على كل ، يجب أن نفترق ، كما يجب أن نثبت منديلا فوق هذه النباتات الطويلة ، ومن هنا كمركز يجب أن تنطلق فوق الفوهة البركانية ٠٠ اذهب أنت فى اتجاه الغرب ، متحركا فى أنصاف دوائر ، وأذهب أنا فى اتجاه الشرق ٠ وللشرب لا بد لنا من استخدام الثلج ، أما بالنسبة للأكل فلا بد أن نقتل عجلا من عجول القمر اذا استطعنا ، وهكذا سيذهب كل منا فى طريقه ٠

ــ واذا عثر أحدنا على الكرة الفضائية ؟

ــ يجب أن يعود الى المنديل الأبيض ويقف بجواره، ويشير للآخر ٠٠ !

ــ واذا لم يحدث ٠٠ ؟

فتطلع كافور عاليا نحو الشمس وقال :

ــ لا بد أن نستمر فى البحث حتى لا يدركنا الليل والبرد ٠

ـ افرض أن أهل القمر قد عثروا على الكـــرة واخفوها ؟

فهز كتفيه استهجانا أو لا مبالاة ، فاضفت قائلا :

ـ أو اذا جاءوا الآن لاصطيادنا ؟

ولم يحر جوابا ، فقلت :

ـ من الأفضل أن تأخذ هراوة معك ٠

فهز راسه وقال :

ـ وداعا !

فشعرت بطعنة عاطفية غريبة ٠ كنت على وشـك أن أطلب منه أن نتصافح باليد عندما ضم قدميه وقفـز بعيدا عني ٠ وقفت للحظة أراقبه ، ثم قفزت في اتجاه الغرب ٠

وعندما تطلعت من حولى بعدئذ لأرى كافور فـلم أعثر له على أثر ، لقد اختفى عن بصرى ، ولكن المنديل ظهر بكل وضوح على ساريته ٠٠ !!

الفصل السادس عشر

مستر بدفورد بمفرده

أخذت أفتش لمدة طويلة ، ولكن حـــرارة الشمس كانت لا تزال عالية جدا ٠٠ وجعلنى الهواء الرخـــو فاقد النفس ٠ ووصلت الى غور محاط بنباتات طويلـة جافة ، فجلست تحتها لارتـــاح واخفف من احســاسى بالحرارة ٠٠ كانت الصخور هنا كلها عروق من ذهب وتبرز هنا وهناك كتل من الذهب من بين الأعشـــــاب الجافة ٠ وماذا يهمنا من الذهب الآن ؟ فلا أعتقـــد ولو للحظة أننا سنجد الكرة الفضـــائية فى هذه البرية ٠ وكنت متعبا للغاية فسقطت نائما ٠

وعندما استيقظت شعرت بالنشاط ثانية ، فنهضت على قدمى ، حاملا العتلات الذهبية على كتفى ، وعاودت البحث ٠

كانت الشمس أكثر انخفاضا عن ذى قبل ، والهواء الطف بكثير ٠٠ لا بد انى خلدت للنوم لبعض الوقت وقفزت الى صخرة أخرى وعاينت الفوهة البركانيه ٠ ثم أستطع أن أرى أى أثر لعجول القمر أو لسكانه ، كما ثم أستطع رؤية كافور ، لكنى تمكنت من رؤية منديلى عن بعد ٠

وسرت فى نصف دائرة ، ثم عدت مرة أخــرى وسرت فى نصف دائرة أوسع ٠ كان أمرا متعبا ومثبطا للأمل ، وتسلطت على فكرة أن القمريين قد يغلقــون اغطيتهم ويتركونا فى العزاء تحت رحمة الليل القمرى عديم الرحمة ٠

لم أعد أفكر فى الكرة الفضائية ، وأصبح كـل همى أن أعثر على كافور ٠٠ ونازعتنى الرغبــة فى أن أعود داخل تجاويف القمر بدونه ٠٠ وبالفعل وصلت الى نصف المسافة عائدا الى منديلى ، وفجأة ٠٠

رأيت الكرة الفضائية !!

كانت جائمة أبعد مما وصلت اليه فى اتجـــاه الغرب ، وأشعة الشمس الغاربة المنعكسة من زجاجهـا قد أفشت بوجودها فى الشعاع الباهر ٠

القيت بذراعى الى أعلى وهتفت بصوت عـــال ، وركضت بقفزات واسعة نحوها ٠٠ والقت بى آخـــر قفزاتى عليها ويداى فوق زجاجها ثم استندت عليهـا لاهثا ، ومحاولا بلا جدوى أن أصيح ٠

ــ كافور ها هى الكرة الفضائية !!

وزحفت داخلها وجلست بين الأمتعة ، ونظرت عبر الزجاج الى عالم القمر وارتجفت ٠٠

وضعت عتلاتى الذهبية جانبا واخذت قليلا مـن الطعام ، ثم خطر لى أنه من الأفضل أن اخـــرج واعطى اشارة لكافور ٠ وبمجهود كبير أخرجت نفسى من الكرة الفضائية ، وارتعشت عندما خرجت ، لأن هواء المساء كان يزداد برودة بشدة ٠

قفزت الى صخرة ومنها استطعت رؤية المنديل الأبيض الصغير يرفرف على الاغصان ، ولكنى لم أستطع رؤية كافور ، وحاولت الصياح ، فتذكرت قوام الهواء الرخو ، وجاءت ريح باردة نخرت عظامى ·

وشعرت أنى لا بد أن أتصرف بسرعة لانقذ كافور ، فخلعت صدريتى والقيت بها ، كعلامة ، فوق الشجيرات الجافة المجاورة لى واقلعت قافزا فى خط مستقيم نحو المنديل ·

وعندما وصلت هناك صعدت فوق صخرة عالية وصحت عاليا :

ـ كافور ! كافور !!

ولكن صوتى كان بلا فائدة فى هذا الهواء الواهن ·

سكون ·· كسكون الموت !

وفجأة وقعت عيناى على شىء راقد بين الأغصان المتكسرة · فاقتربت منها فوجدتها قبعة الكريكيت

الصغيرة التى كان يرتديها كافوا · وعلى بعد امتار قليلة ، هب النسيم الصاعد بشيء أبيض اللون لمجال رويتى · انها ورقاء صغيرة متجعدة بشدة ، فالتقطها ، وفوجئت بأن عليها بقع من الدم · والتقطت عيناى خطا باهتا مدونا بالقلم الرصاص ، ففردت الورقة جيدا وقرات ما يلى :

ـ لقد أصبت بجرح فى ركبتى ، ولا أستطيع الجرى أو الزحف · انهم يطاردونى ، وما هى الا ساعات قليلة ويقبضوا على ·· استطيع سماعهم ·· انهم أنواع مختلفة من أهل القمر سويا ·· لهم رؤوس أكبر وأجساد أنحف وأرجل قصيرة جدا · تصدر عنهم أصوات رقيقة ويتحركون بطريقة منظمة · ان ظهورهم لا يزال يعطينى أملا ·· انهم لم يطلقوا على أسلحتهم أو يحاولوا اصابتى ··· انى أنوى ····

ثم ظهرت خط ملتوى عبر الورقة ، مع وجود دم عند الحواف !

وبينما كنت واقفا هناك غبيا ومتحيرا لامس يدى

شيء ناعم جدا وحفيف وبارد ثم اختفى .. انها ندفة ثلج ، أول تباشير الليل .

تطلعت الى أعلى فى جحوظ ، لقد اظلمت السماء فى طريقها الى العتمة ، وفى اتجاه الغرب كانت الشمس الغاربة تلامس حافة الفوهة البركـانية وتغـوص فى الأعماق مختفية عن الأبصار . وهبت ريح باردة اصابتنى برعشة متواصلة . وفجأة بدأ الثلج يتساقط ، وأصبح العالم كله من حولى رماديا معتما .

وبعدها سمعت نفس الصوت الذى رحب بقدوم النهار :

بوم ! .. بوم ! .. بوم ! ..

ترى ماذا حدث لكافور ؟ وقفت هناك بغبـاء ، وأخيرا توقفت الضوضاء . وفجأة أغلـق الفم المفتوح للنفق مثل ناعس طرف أرخى جفنـه ، واختفى عـن الأبصار .

وبعدها أصبحت وحيدا حقا . وأصبح الفضـاء

اللا نهائى من فوقى ومن حولى ويطبق على ، وكـــادت أيادى الموت تلامسنى فصرخت :

ـ لا ، لا ! ·· ليس بعد ! ليس بعد ! انتظر ! آوه ، انتظر !!

وتحول صوتى الى حشرجة ، وبكل ارادة كامنة فى داخلى ركضت قافزا نحو الكرة ·

كنت على بعد ميلين تقريبا منها ، مائة قفـزة أو يزيد ، والهواء من حولى يزداد وهنا على وهن ، والبرد يتسبث باوصالى وتلابيبى ، ولو كنت قد مت آنئذ ، لمت قافزا فى الهواء ·· وانزلقت قدماى وسقطت عدة مرات فوق ركـــام الثلج ، وأصبح تنفسى يصـــدر صوتـــا كالمزامير ، وفى داخـــــلى كأن سكـــاكين تطعن رئتى وأنا أتساءل :

ـ ترى هل سأصل اليها ؟ يا أيتها الســماوات ! هل سأصل اليها ؟

وصرخ الملى وياسى :

ـ استلق واسترح ! استلق واسترح !

وتعثرت واصيبت نفسي بكدمات ورضوض بل وجروح ولم أنزف

وظهرت الكرة لعيني

وسقطت على أربع وحبوت وتجمع الصقيع فوق شفتي ·· كنت على بعد أمتار قليلة منها ، واغرورقت عيناي وفقدت الرؤية **وصرخ الياس :**

ـ استلق واسترح ! استلق واسترح !

ومددت يدي ولامستها وترنحت ، **وصرخ الياس مرة أخرى :**

ـ سبق السيف العدل ! استلق واسترح

وغدوت عند حافة فتحة الكوة الصغيرة ، كائنا شبه ميت ·وكان الثلج يحيطني من كل جانب · جررت نفسي للداخل ·· كان الهواء ، في الداخل أدفأ قليلا وأخذت ندف الثلج ترقص من حولي ، عندما حاولت بيدي المتجمدتين أن أدفع بغطاء الكوة وأغلقة بإحكام

ثم اتجهت باصابع مرتعشة الى الأزرار والستائر الكافورية ، وأخذت أتعامل معها فى ارتباك ، وطقطقت أشياء تحت يدى ، وفى لحظة اختفى عالم القمر عن عينى ، وأصبحت فى سكون الكرة الفضائية وظلامها ..!

الفصل السابع عشر

مستر بدفورد فى الفضاء اللانهائى

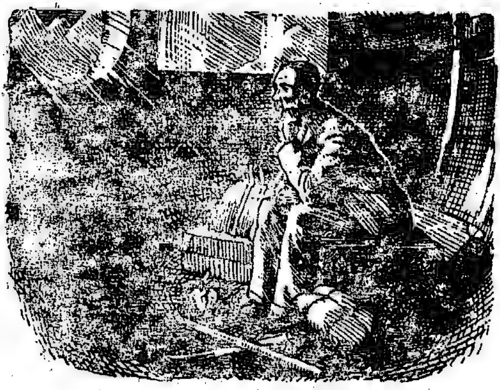
أصبحت بمفردى وحيدا فى فضاء خاو ، وانتابنى احساس عنيف بالخوف ، وخيل لى أنى محمول الى أعلى فى ظلام مهول .

طافت أصابعى فوق الأزرار وابتعدت عن الستائر، وتعلقت سابحا فى الفضاء ، وأخيرا وصلت بكل رقة ولطف عند صرة الأمتعة والسلسلة الذهبية والعتلات التى كانت قد حرفت الى منتصف الكرة الفضائية .

وعندما لمست ربطة الأمتعة شعرت وكأننى قد

استيقظت من سبات عميق ، وأدركت في الحال انني اذا أردت أن أبقى متيقظا وعلى قيد الحياة فلا بـــد لى من الحصول على ضوء أو فتح ستارة من الستائر ، لـكى أثبت عينى على شيء ما ، وبجانب ذلك ، كنت أشعـــر بالبرد • تلمست طريقى الى الأزرار وأشعلت المصبـــاح الصغير فرأيت صحيفة قديمـــة كنت أحضرتهـــا معى من الأرض تسبح فى الخواء • فأخرجنى ذلك من اللانهائية الى ذاتى الحقيقية مرة أخرى ، وأشعلت المدفاة الى أن شعرت بالدفء ، ثم تناولت بعض الطعام ، وبدأت أعمل فى حذر شديد على تشغيل الستائر الكافورية ، لأرى ما اذا امكننى التخمين ، بطريقة ما ، كيف تسير الكرة الفضائية •

واول ستارة قمت بفتحها اسرعت باغـــلاقها فى الحال ، وتعلقت فى الخوا لبرهة مصابا بعمى وقتى من جراء نور الشمس الذى قد سلبنى نور عينى ثم تحولت الى الستائر التى عند الزاويـــة اليمنى وفتحت واحـــدة منها ، فرأيت الهلال القمرى الضخم والهـــلال الأرضى الصغير من ورائه•• واندهشت كم كنت بعيدا عن القمر •



وشغلت بأفكار كثيرة معقده

حاولت ان أتخيل ما قد يكون حدث لكافور ··· ولم أستطع التفكير في شيء سوى المـوت ·· وتخيلته مهشما عند نهاية شلال مرتفع من شـــلالات الضـــوء الأزرق ، ومن حوله كل الحشرات الغبية تحملق ··

واصبحت بعد رؤيتي للصحيفة الهائمة في الهواء عمليا مرة اخرى بعد فترة · كان من الواضح لى أننى أهيم بعيدا عن الأرض ·· وشرعت في التفكير في كيفية عودتى الى الأرض وغرقت في تعقيدات شديدة ازاء هذه المشكلة ، وفي النهاية ، فانا على يقين انه حظى الطيب لا تصرفي الحكيم هو الذى ساعدنى للوصول للأرض ·

فتحت جميع الستائر المواجهة للقمر ، لكى أحصل على السرعة ، وانتظرت الهلال حتى يكبر ويكبر الى أن شعرت اننى قريب من الامان ، ثم أغلقت منظر القمر عن عيني ، وطرت الى أن تجاوزته ، وفتحت ستارة فى اتجاه الأرض وجلست لأبدأ المراقبة من داخل الـــكرة الفضائية حتى أعرف متى يجب أن أرتطم بالأرض · لقد أصبح الدفء داخل الكرة محتملا بفضل التدفئة ، وكنت فيما عدا ذلك الاحساس الغريب الذي أشعر به داخـــل

رأسى منذ أن غادرت الأرض ، مرتاحا تماما • لقد أطفأت الضوء مرة أخرى ، خشية أن يخذلنى فى النهاية ، وغدوت فى ظلام فيما عدا لمعان الأرض وبريق النجوم من تحتى •

وكان كل شىء ساكنا فى صمت مطلق ، وأشعرنى ذلك أنى الكائن الوحيد حقا فى الكون ، ومع ذلك ، فالشىء الغريب اننى لم أعد أحس بمزيد من الوحشة أو الخوف أكثر مما أحس به وأنا راقد فى فراشى على كوكب الأرض •

لا أدرى كم بقيت فى الفضاء •• أحيانا يبدو لى أنها سنين وأحيانا أخرى أراها ما هى الا قفزة سريعة من القمر الى الأرض • وفى الحقيقة كانت المدة كلها ما هى الا بضعة أسابيع من وقت الأرض •

وأخيرا بدأت أشعر بالجاذبية الأرضية وسحبها للكرة الفضائية ، وهيأت نفسى للتفكير فى الطرق التى يجب أن أسقط بموجبها الى الأرض •

الفصل الثامن عشر

مستر بدفورد فى بلدة لتلستون

كان مسار طيرانى موازيا لسطح الأرض عندما اقتربت من طبقات الهواء العليا · وبدأت درجة حرارة الكرة الفضائية ترتفع على الفور · وتحتى من بعيد تمتد رقعة فسيحة من البحر فى لجة من الشفق ·وفتحت كل ستارة استطعت فتحها ، وسقطت مبهورا بأشعة الشمس المتداخلة فى المساء والمساء المدلهم فى حلكة الليل البهيم · وازدادت ضخامة الأرض رويدا رويدا · وأخيرا لم يعد العالم يبدو كرويا بل مسطحا ·· ولم تعد

الأرض كوكبا فى السماء ، ولكن عالما للانسان · واغلقت الستارة المتجهة للأرض كلها فيما عدا عـدة سنتيمترات قليلة ، فبدأت سرعة السقوط تقل · وأصبح الماء قريبا لدرجة انى استطعت رؤية البريق المعتم للموج المندفـع لملاقاتى ·· وأصبحت الكرة الفضائية ساخنة جدا ··· فاغلقت الشريط المتبقى من الستارة ، وجلست منتظـرا تطامى بسطح الماء ·

لطمت الكرة الفضائية الماء لطمة مهولة أدت لتناثر المياه وأصدرت صوتا رهيبا · فاندفعت نحو الستائـر الكافورية وفتحتها ·· وأخذت أغوص وأغوص ولـكن ببطء متزايد ، ثم أحسست بأرضية الكرة تضغط على باطن قدمى ·· وهكذا صعدت من الأعماق لتطفو عـلى سطح الماء · وأخيرا ها أنذا أطفو متأرجحا فوق سطح البحر وانتهت رحلتى فى الفضاء ·

كانت ليلة مظلمة وملبدة بالسحب ··· وظهـر ضوء أصفر من بعيد يدل على مرور سفينة كما ظهر ضوء أحمر مبهر يشتعل وينطفىء على بعد أقل ولولا

استنفاد بطارية مصباحي ، لاستطعت ارســـال اشــارة لانتشالى تلك الليلة ·

أدركت انى لا بد ساقضى ليلة أخرى على الأقــل فى الكرة الفضائية · وكنت أشعر بتعب فى كل أوصالى وضعف شديد ، لذلك فقد رحت فى سبات عميق ·

وعندما أستيقظت تطلعت من الزجاج فوجدت أننى رسوت على شاطىء رملى ، ولمحت بعض منازل واشجــار من بعيد ·

نهضت واقفا فترنحت · كانت رغبتى الوحيدة هى الحروج · فتحت الكوة الصغيرة ، فدخل الهواء مغردا مرة ثانية ولطمنى على صدرى فشهقت وصرخت متألما ، ووضعت يدى على صدرى ، وجلست · وظللت على هذا الوضع فى ألم شديد لبرهة من الزمن . ثم أحدت نفسا عميقا ، واستطعت أخيرا النهوض والحركة مرة ثانيــة ، وأخرجت نفسى عبر الكوة وزحفت خارجا نحو الرمـــال التى تغدو الأمواج من فوقها وتروح ·

كان الوقت فجرا ·· فجرا رماديا ملبــدا بالغيوم

.. وعلى بعد ترسو سفينة في مرساها ، واستطعت أن اری جهة الشمال الشرقی شاطئا منعـزلا للاستحمام ، مع صف طويل من المباني السكنية .

جلست هناك لمدة طويلة متثائبا فاركا فی وجهی وعينيى . وأخيرا قاومت أوصالى المنهكة ونهضت ... وعند وقوفى شعرت وكأنى أحمل أثقالا .

أخذت أحدق فی المنازل البعيدة ، وبدأت لأول مرة منذ تضورنا جوعا عند الفوهة البركـــانية بالتفكير فی الأطعمة الأرضية ، وهمست لنفسی قائلا :

ـ لحم محمر .. بيض .. خبز محمص وقهـــوة مضبوطة .. وكيف سأحصل على كل هذا برب الأرض والسماوات ، وأنا فی هذا المكان ؟ انه شاطیء شرقی علی أية حال ، ولقد رأيت أوربا قبل سقوطی .

وسمعت صوت خطوات على الرمال ، وظهر عـلى الشاطیء رجل ذو وجه مستدير صغير بشوش مع منشفة استحمام ملتفة حول كتفيه . وعرفت على الفور اننی فی انجلترا . وقف يحملق فی الكرة الفضـــائية وفی

وارتسمت على قسمات وجهه الدهشة .. وكنت أبدو ، بلا شك ، همجيا .. قذرا بشعر مشوش ، ولكن لم أكن أعي ذلك .. وتوقف على مسافة عشرين مترا **وقال في ريبة :**

ـ اهلا يا سيدي !

فقلت :

ـ أهلا !

فسأل وهو يتقدم مني :

ـ ما هذا الشيء برب الأرض والسماوات ؟

فسألته :

ـ هل يمكن أن تخبرني أين أنا ؟

فقال مشيرا الى المنازل :

ـ هذه بلدة « لتلستون » هل وصلت لتوك ؟ ما هذا الشيء ؟ هل هو نوع من الماكينات ؟

ـ نعم .

ـ هل طفوت الى الشاطيء ؟ هل تحطمت سفينتك أو شيء من هذا القبيل ؟ هل هذا الشيء يقوم بعمل زورق النجاة ؟

وقررت أن أسايره ، **فاجبت بشكل غير واضح :**

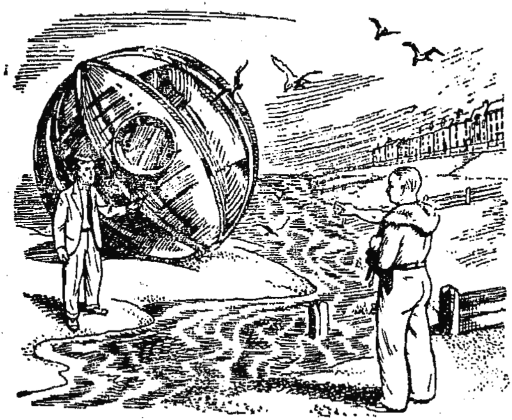
ـ نعم شيء من هذا القبيل · والآن أحتاج لمساعدة لحمل بعض الأشياء الى الشاطيء ·· أشياء لا أستطيع أن أتركها ورائي ·

ولاحظت ثلاثة شبان آخرين بشوشي المظهر مع مناشفهم ، ويرتدون ملابس رياضية وقبعات من القش يسيرون على الرمال في اتجاهي · **وقال الرجل الصغير :**

ـ تحتاج لمساعدة ! ماذا تريد أن تفعل بالضبط ؟

ثم استدار وأشار للشبان الثلاثة ، الذين أسرعوا الخطى وأصبحوا على مقربة مني في دقيقة واحدة ، يسألونني شتى الأسئلة ، **فقلت :**

ـ سأجيب على كل هذه الأسئلة فيما بعد ، فأنا متعب منهوك القوى ·



وسألنى : ما هذا الشىء برب السماوات والأرض !

فقال الرجل الصغير :

ـ تعال الى الفندق ، وسنحرس لك هذا الشيء ·

فترددت قائلا :

ـ لا أستطيع ، ان فى داخل هـذه الـكرة قضيبين كبيرين من الذهب ·

فنظروا الى بعضهم البعض فى ريبة ثم حولـوا نظرهم نحوى فى دهشة جديدة · فذهبت الى الـكرة ومرقت داخلها ، وأحضرت لهم العتلات القمرية والسلسلة المكسورة ووضعتها أمامهم · فجاء الرجل الصغير ورفع طرف احدى العتلتين ، ثم افلتها من يده وهو يئن من ثقلها ، ثم فعل الجميع نفس الشيء ، **وقال احدهم :**

ـ هل هذا رصاص ، أم ذهب ؟!

وقال آخر :

ـ أوه ، انه ذهب !

وقال الثالث :

ـ ذهب بكل تأكيد !

وصرخ الرجل الصغير قائلا :

ـ ولكن من أين حصلت على ذلك ؟

كنت متعبا لا أقدر على المراوغة والكذب ، **فقلت :**

ـ لقد حصلت عليها من القمر ·

فرأيتهم ينظرون الى بعضهم البعض ، **فقلت :**

ـ انتبهوا الى ، لن اتكلم الآن · ساعدونى فى حمل هذه الأثقال الذهبية الى الفندق ، وسأزيدكم خبرا عندما أتناول قليلا من الطعام ·

ـ وماذا بشأن هذه الكرة ؟

فقلت :

ـ انها لن تصاب بأذى هناك · على أية حال لا بد أن تبقى هناك الآن ، واذا ارتفع المد فستطفو لا شك ·

ورفع الشبان كنوزى على أكتافهم بكل طاعة وهم فى دهشة من الأمر كله ، وبساقين ثقيلتين ثقل الرصاص تصدرت هذا الموكب نحو الشاطىء · وفى

منتصف الطريق التحقت بنا بعض الفتيات الصغيرات الفزعات ، كما ظهر فيما بعد صبي صغير نحيل · أذكر أنه كان ممسكا بدراجته : وسايرنا لمسافة قصيرة ، ثم اعتلى دراجته وقادها فوق الرمال المستوية في اتجاه الكرة الفضائية ، فتطلعت خلفي نحوه ، **فقال الشاب السمين مؤكدا :**

ـ انه لن يلمسها ·

بزغت الشمس من خلف السحب وأضاءت الدنيا ، وأحالت البحر الرصاصي الى مياه متلألئة ، فارتفعت روحي المعنوية وأحسست بالابتهاج · وانتابني شعور بالأهمية البالغة للأشياء التي قمت بها ، فشارك نور الشمس في دغدغة خيالي ·

وأخيرا وصلنا الى الفندق ، ووجدت نفسي مرة ثانية في حمام به ماء ساخن وصابون لأغتسل ، ولأغير ملابسي بملابس نظيفة أحضرها لي الرجل القصير ·

وقعدت أمام مائدة افطار مليئة بما لذ وطاب وأكلت بشهية كسولة ·· شهية لم تتحرك لعدة أسابيع ···

وأخذت أجيب على أسئلة الشبان الأربعة . وأخبرتهم بالحيقة ، فقلت :

ـ حسن ، طالما أنكم تلحون على بالسؤال .... لقد وصلت للقمر !

ـ القمر !!

ـ نعم ، القمر الذى فى السماء .

ـ لكن ماذا تعنى ؟

ـ أعنى ما اقول ، وحق هذا الطعام !

ـ هل تريد أن تقول انك جئت من القمر لتوك ؟

ـ بالضبط ! عبر الفضاء ... داخل تلك الكرة ! وأخذت قضمة لذيذة من البيض . وعلقت قائلا انى عندما أعود للقمر فسآخذ معى صندوقا من البيض .

واستطعت أن ألاحظ ، بكل وضوح ، عدم تصديقهم لكلمة واحدة مما قلته لهم ، وبالتأكيد أعتبرونى أكبر كذاب قابلوه فى حياتهم ، وتطلعوا الى بعضهم البعض ، ثم سلطوا لظى عيونهم على ، واستحوزت تلك الكتل

الذهبية الغريبة الشكل ، والتى ناءوا بحملها ، على عقولهم ، وبدأ أصغرهم يوجه لى الكلام فى نبرة عاقل يحدث طفلا عنيدا :

ـ انت لا تقصد حقا ...

فقلت وانا اخرسه تماما :

ـ ناولنى هذا الخبز المحمص من فضلك !

وبدا آخر قائلا :

ـ لكن انتبه لى . أحب أن أقول لك ... أننا لن نصدق ذلك .

فقلت وانا اهز كتفى :

ـ آه ، حسن .

وواصلت تناول طعامى .

وفجأة سمعنا صوت انفجار وكأنه انطلاقة صاروخ مع تحطم نافذة فى مكان ما . **فقلت :**

ـ ما هذا ؟

واندفعنا جميعا نحو النافذة .. لقد اختفت الكرة فصرخت في غضب :

ـ انه الصبى ! انه ذلك الصبى اللعين !

واندفعت راكضا فى عنف خارجا من الحجـــرة وهابطا الى شاطئ البحر .

فرأيت ثلاثة أو أربعة أشخـــاص على الشـــاطئ يحملقون بوجوه مفعمة بالدهشة والانبهار نحو مصــــدر الانفجار غير المتوقع . وهذا كل شيء !! وجـــاء خادم الفندق والشبان الأربعة يندفعون من خلفي ، وتـــعالى الصراخ من النوافذ والأبواب .

ووقفت هناك زمنا لم أستطـــع استيعاب ما قـــد حدث من هول الدهشة . ثم ضعفت ساقاى ، بعدمـــا خطرت لى الفكرة الأولى لما تعنيه هذه الكارثة لى . لقد كان ذلك الصبى اللعين .. فقال الرجـــل الصغير من خلفي :

ـ قل لنا تفسير ذلك .

واستدرت ، فوجدت حـــوالى عشرين أو ثـــلاثين

شخصا كلهم ينظرون الى فى ريبة ، **فصحت قائلا :**

ـ لا أستطيع أن أشرح لكم ٠٠ لا أستطيع !

ومرقت من بينهم الى الفندق واندفعت الى الكافيتريا وطرقت الجرس بعصبية ، وامسكت بالخادم عند دخوله **وصحت قائلا :**

ـ هل تسمح ؟ ساعدنى فى حمل هذين القضيبين مع هذه السلسلة الى حجرتى فورا ٠

ولكنه فشل فى فهمى ٠

وظهر رجل عجوز مفزوع مع اثنين من الشباب ، فاندفعت نحوهم واجبرتهم على رفع الذهب ، وعندما أصبحت أنا والذهب فى حجرتى شعرت بالحرية فى المشاجرة ، **فصحت قائلا :**

ـ والآن اخرجو جميعا ، اخرجو سترونني أصاب بالجنون أمام أعينكم !

وعندما اغلقت الباب وراءهم خلعت ملابس الرجل

الصغير التى كانت ضيقة على ، وذهبت الى الفراش ، حيث رقدت أسب وألعن لساعات طويلة ٠

وأخيرا هدأت ونهضت من فراشي ودققت الجرس طالبا خادم الفندق ليحضر لى ملابس أخرى مع مشروب يهدىء من انفعالى ، وبعد ان أحضر ما طلبت أغلقت الباب مرة أخرى وشرعت فى تأمل الموقف العام ومواجهته صراحة ٠

وأصبحت النتيجة النهائية للتجربة العظيمة فشلا ذريعا ٠ وبضربة قاصمة تلاشت جميع نواياى المبهمة للعودة للقمر ، والحصول على مزيد من الذهب ، والعثور على جثمان كافور ٠ وغدوت الناجى الوحيد من الكارثة ، وهذا هو كل شىء ٠

وأصبح من الواضح لى ما كان مفروضا أن يجرى للصبى ٠ لقد زحف داخل كرة الفضاء ، وأخذ يلعب فى الأزرار والأجهزة وأغلق الستائر الكافورية ، فصعد الى أعلى واختفى ٠٠ وليس أمامه الا فرصة فى الألف لرجوعه ٠ أما ازاء مسئوليتى التى قد تقع على فى هذا الموضوع ، فكلما ازددت تفكيرا فيها ، كلما وضحت

رؤيتى بألا أزعج نفسى بخصوص ذلك . واذا طلبت منى الأم الثكلى الابن المفقود المأسوف على شبابه ، فما على فقط الا أن أطالبها بكرتى الفضائية !..

وبعدما استرحت من هذا الموضوع ، بدأت أفكر فى مسألة الديون . وتخيلت لو أننى احتفظت بلحيتى واتخذت اسما آخر لأصبحت مخاطر أى مضايقة من الدائنين ضئيلة جدا .

وكتبت رسالة لأقرب مصرف ، لأخبر المدير برغبتى فى فتح حساب عنده ، وطلبت منه ارسال من يثق فيهم فى عربة ليأخذوا ذهبى ووقعت الرسالة باسم « بليك » . وبعد انتهائى من ذلك كتبت رسالة أخرى لمحل ازياء أطلب منه بعض الملابس الجديدة .. كما طلبت أفخر وجبه غداء يستطيع أن يقدمها الفندق ، ثم استلقيت فى هدوء حتى جاء اثنان من موظفى المصرف ، ووزنا الذهب وحملاه معهما . وبعدها سحبت أغطية الفراش فوق أذنى لأتصلنى سماع أى طرق على الباب ، واستغرقت فى نوم هنيىء جدا .

وعندما استيقظت أخيرا ، كنت مستعدا لمواجهة

العالم ٠٠ وهكذا رحلت متجها الى ايطاليا ، وأنا أكتب هذه القصة من هناك واذا لم يعتبرها العالم كحقيقة ،فقد يأخذها على أنها قصة خيالية وهذا لا يهمنى ٠

والكل يعتقد أن كافور لم يكن باحثا علميا غاية فى الذكاء ، فهو الذى طار وأطار بمنزله فى بلدة ليمبن ، وفسروا الدوى الذى أعقب وصولى الى بلـــدة ليتلستون كنتيجة لبعض التجارب مع المتفجرات التى كانت تصنــع بالجوار ٠ وأخذوا يقولون أننى اخترعت قصة عن ذهب القمر لأتجنب المساءلة والاستجـــواب بالنسبة لمصـــدر ثروتى ٠

ولقد قلت قصتى ٠٠ والآن ، اظن ساعود الى مشاكل الحياة الأرضية ثانية ٠ وحتى اذا ذهب المرء الى القمـــر فلا يزال عليه أن يجرى وراء رزقه ٠ ولذلك ، فانا اعمل هنا فى أمالفى فى المسرحية التى بدأت فى كتابتها قبل أن يدخل كافور الى عالمى ٠ ولا بد أن أعترف بانى أجـــد صعوبة فى التركيز فى المسرحية عندما يدخل ضوء القمر الى حجرتى ٠٠ تخيل معى ! مناضد وكراسى وقضبان من ذهب ! لو أننى استطعت الرحيل على الكرة الكافوريـــة

مرة ثانية ! ولكن أمرا كهذا لا ياتى مرتين فى العمر . وهأنذا هنا أفضل قليلا عما كنته فى ليمبن ، وهذا كـل ما فى الأمر . ولقد تورط كافور وانتحر بطريقة مدهشة للغاية لم يقم بها انسان من قبل . وهكذا تنتهى القصة بالتمام والكمال كحلم من الأحلام . وهناك لحظات ، فى الحقيقة ، عندما أكاد أعتقد ، بالرغم من ذهبى القمري ، ان الحكاية كلها لم تكن الا حلما فى منام .. !

الفصل التاسع عشر

الرسالة المذهلة لمستر جوليوس ونديجي

عندما انتهيت من حسابات عودتي للأرض في بلدة لتلستون ، سلمت مخطوطي للناشر ، موقنـــا تماما أن القصة الكاملة لرواد القمر الأول قـد تمت · ولـــكني استلمت في أحد الأيام رسالة في غايـــة الغرابـة · باختصار تبلغني أن مستر جوليوس ونديجي يســـتلم يوميا رسالة غريبة من مستر كافور في القمر ·

في البداية فكرت إنها دعابة من أحد الذين اطلعوا على مخطوط قصتي ، وأجبت على مستر ونديجي بطريقة

ساخرة ، ولكنه أجاب بشكل ينحو بمثل هذه الشكـوك جانبا ٠٠ وأسرعت ، في حالة عظيمـــة من الاثارة الى المرصد الصغير فوق قمة سانى جوتارد حيث كان مستر ونديجى يقوم بعمله ٠

وفى حضور تسجيلاتــه وأجهزتـــه تلاشت كــل شكوكى ٠ وقررت في الحال قبول اقتراحه الذى طرحــه على فى أن أبقى معه لمساعدته على استلام الرسائل من يوم الى آخر ، ولأحاول معه ارسال رد الى القمر ٠

كان كافور ، كما علمنا ، لا يزال حيا يرزق ، بل وحرا طليقا بين مخلوقات القمر الشبيهة بالنمل ، فى العتمة الزرقاء لكهوفهم ٠ كان مصابا بعرج ، عـــلى ما يبدو ، ولكنه فى صحة جيدة تماما !

كان مستر ونديجى قد كرس نفســـه ، منذ عام ١٨٩٨ لدراسة الموجات الكهربائية التى تصل بشكــل مستمر الى الأرض من بعض المصادر المجهولة فى الفضاء ٠٠ ولما كان ثريا ، فقد أقام مرصدا لاستقبال وتسجيل هذه الموجات ٠

ولحسن الحظ أن أجهزة مستر وندیجی کانت قد شرعت في العمل بشكل منتظم قبل محاولة كافور الأولى للاتصال بالأرض بحوالى شهـــرين · وبالتالى فلـــدينا مقتطفات من رسائله منذ البدايـــة · ولـــكن ما هي الا مقتطفات ، وأهم ما فى الموضوع أن تعليمـــات صـــنع المادة الكافورية لم تصلنا · ولم ننجح أبدا فى ارسال أى رد الى كافور · ولذلك لم يقدر على اخبارنا بما قـــد استلمناه أو ما قد افتقدناه ، بل انه في الحقيقة لم يكن يدرى بالتأكيد أن هناك أحدا على الأرض يرصد جهوده للاتصال بنا ·

لك أن تتصور كم كان مستر وندیجی مندهشـــا عندما اكتشف فى جهاز تسجيله للموجات الكهربائيـــة تسجيلا لرسائل كافور بلغة انجليزية فصيحة ، ولا يعرف مستر وندیجی شيئا عن رحلتنا الطائشة للقمر ···· وفجاة تاتيه لغة انجليزية من الفضاء !

ولقد عثر كافور ، فى مكان ما داخل القمر على قدر مناسب من الأجهزة الكهربائية ، وأقـــام ، ربما سرا ، جهاز ارسال على غرار أجهزة ماركونى · واستطاع عمل

ذلك فى فترات غير منتظمة • ونتيجة لذلك ، مع عدم دقة أجهزتنا الخاصة بالتسجيل ، وصلت رسائله لنا بشكل متقطع تماما ، وكانت تتلاشى بطريقة غامضة •

ولقد فقدنا ما يزيد عن نصف الاتصالات التى قام بها ، مع تلف ودمار كثير مما وصل الينا • ولذلك فعلى القارىء أن يعد نفسه لعدد كبير من الثغرات وتقلب الموضوعات فى الملخص التالى •

الفصل العشرون

ملخص الرسائل الستة الأولى الملتقاه من مستر كافور

الرسالتان الأوليان لمستر كافور تحكيان باختصار الحقائق المجردة لصنع الكرة الفضائية ومغادرتنا الأرض . ويتكلم عنى كرجل ميت ، **فيقول عنى :**

ـ بدفور المسكين !

ـ هذا الشاب المسكين !

ويلوم نفسه لاستمالته لشاب مثلى **قائلا :**

ـ غير معد على الاطلاق لمثل هذه المغامرة !

واعتقد أنه بخسني حقي أزاء مقـدرتي العمليـة ونشاطي الذي قمت به في فهم نظرية كرته الفضائية ٠

وبعدها ازداد جورا علي ، **اذ يقول :**

ـ وأصبح من الواضح أن غرابة ما يحيط بنا قد أثار رفيقي بشكل عظيم ، فأصبح مندفعا ، طائشـا ومشاكسا ٠ وبعد قليل قادتنا حماقته في العبث ببعض النباتات السامة ، وبالتالي تعرضه للتسمم ، الى إن نوسر من قبل أهل القمر ٠

ولم يقل أي شيء عن عبثه هو بنفس تلك النباتات السامة ٠

واستمر في وصف قتالنا مع سكان القمر داخـل الكهوف القمرية ، وكيف شققنـا طريقنا الى السطح الخارجي ، وكيف انفصلنا من أجل البحث عن الكـرة الفضائية ، **ثم قال :**

ـ وحاليا فوجئت على حين غرة بعدد من سكـان القمر ، يقودهم اثنان لهما رأسان أكبر حجما وجسدان أصغر عن كل من رأيناهم من قبل ٠ وبعد هروبي منهم لبعض الوقت سقطت في شق ، فأصبت في رأسي اصابة

شديدة وجرحت فى ركبتى · وأخيرا بعدما وجدت ان الزحف مؤلم جدا استسلمت لهم · وبعد أن ادركـوا حالتى العاجزة ، حملونى معهم الى داخل القمر · ولم أسمع عن بدفورد أو أره بعد ذلك ، فاما أن يكون الليل قد باغته ووقع فى الفوهة البركانية . واما انه عثر على الكرة الفضائية ، وهذا أكثر احتمالا ، وهرب فيها ··· وما أخشاه ، أنه لا يستطيع التحكم فيها ويموت موتـا بطيئا فى الفضاء الخارجى ·

ومن بعد هذه الواقعة لم يذكرنى كافور بعد ذلـك ·· واخذ يصف كيف حمله سكان القمر الى الجزء الداخلى من القمر هابطين « عمودا كبيرا » بواسطة « نوع من البالون » ·

ويقول ان هذا العمود هو واحد من أعمدة عديدة تمتد لما يقرب من مائة ميل نحو مركز القمر · وتتصل هذه الأعمدة ببعضها البعض بواسطة أنفاق ، ويتكـون جوف القمر ولمئات الأميال فى الداخل من مجرد صخور اسفنجية ، ويقول كافور :

ـ وجزء من هذه الصخور الاسفنجيـــة طبيعى ،

ولكن من المحتمل جدا أن يعود ذلـــك للنشاط الهائل لسكان القمر فى الماضى .

أخذوه هابطين العمود ، فى البداية الى عتمـــة قاتمة كالحبر ، ثم الى منطقة حيث أصبح الضـــوء يزداد سطوعا . وأخيرا رأى تحته عن بعد ما يشبه بحيرة من نار بلا حرارة ، مياه البحر المركزى .

وأضاف قائلا :

ـ أخذنى سكان القمر فى رحلة قصيرة فى البحر بقارب صغير . ومررنا بتجاويف وممرات ملتوية وكلها منعطفات . وغالبا ما يتوه سكان القمر فيها الى الأبد .

وتقع جميع مدن القمر كما علمت . فوق هـــذا البحر المركزى مباشرة فى مثل التجاويف التى وصفتها . وتصلهم بالسطح الخارجى أعمدة رأسية عديدة تفتح على ما يسميه علماء الفلك الأرضيين بالفوهات البركانيـــة للقمر .

ولا بد أن هذه الأعمدة مع النباتات الموجودة على السطح القمرى تلعب دورا هاما فى تهوية الغلاف الجوى للقمر . فتوجد أحيانا رياح باردة تهب الى أسفل العمود

وأحيانا أخرى رطوبة ورياح دافئة تهب الى أعلى ٠٠ !

ولقد اخبرني علماء الفلك أن شرح كافور للغلاف الجوى للقمر ولبنائه يتفق تماما مع ما أمكن معرفته عن حالة القمر ٠ ويقول مستر وندیجی لو كان لدى علماء الفلك الأرضيين الشجاعة الكافية المصحوبة بالتخيل لكانوا قد تنبأوا بكل ما قاله كافور تقريبا ٠ انهم يعرفون الآن بكل يقين أن القمر والأرض شقيقان ، مصنوعان من كتلة واحدة ، وبالتالى مصنوعان من نفس المادة ٠ وطالما أن كثافة القمر ما هى الا ثلاثة أخماس كثافة الأرض ، فلا بد انه يحتوى على قدر هائل من التجاويف ٠ واذا كان القمر مجوفا ، اذن يمكن تفسير ظاهرة غياب الهواء والماء ٠ ويقع البحر في الداخل عند قاع التجاويف ، ويتحرك الهواء عبر الطبقة الاسفنجية العظيمة للتجاويف طبقا لقوانين الطبيعة البسيطة ٠ ويلتهب الهواء الذى على جانب القمر المواجه للشمس وتزداد حرارته ، فيتحرك عبر الانفاق والتجاويف ، ليحل محل الهواء المنكمش للجانب البارد الذى غربت عنه الشمس ٠ ولذلك ، يوجد نسيم دائم فى الانفاق !

الفصل الحادى والعشرون

التاريخ الطبيعى للقمريين

بينت من قبل ، على ما أظن ، أن القمريين الذين رأيتهم يشبهون الانسان فى كونه منتصب القـــامة وفى كونه لديه أطراف أربعة ، ولقد قـــارنت مظهرهم العام بشكل الحشرات · وعزز كافور رأيى فى كل هذه الأمور، فيقول بسبب قلة الجاذبية على القمر ، استطاعت حشرات معينة الوصول الى ارتفاع طول الانسان ، وهى تذكرنا بالنمل فى نشاطه وحيويته وذكائه وتنظيمه الاجتماعى ، وبصفة خاصة فى وجود عدد من الجنس الثالث بجانب الذكر والأنثى ، مثل الجنود والشغالـــة · ولهـــؤلاء القمريين أشكال مختلفة عديدة · فالقمريون الخارجيون

الذين رأيتهم عبارة عن رعاة قطعان عجول القمر وجزارين وما شابه ذلك · ولكن داخل القمر ، فيبدو أنه يوجد عدد من أنواع أخرى مختلفة فى الحجم وفى القوة وفى الشكل الخارجى · **وهذا ما يقوله كافور عن جمهرة من القمريين الذين رآهم عندما أخرجوا من البالون :**

ـ كانت جمهرة عجيبة لا تصدق · ففى الحقيقة لا يوجد اثنان متشابهان · فكل واحد يظهر بأحد الملامح فى مبالغة لا تصدق ، فواحد له ذراع ضخم جدا ، وآخر يبدو أنه ساق فقط ، والبعض له رؤوس عريضة ومنخفضة ، وآخرون لهم رؤوس عالية ورفيعة · وهناك رؤوس متورمة كبالونات ضخمة ·

واستمر يقول :

ـ وفى كل لحظة تزداد الجمهرة فى أعدادها ، وأخذوا يدفعون ببعضهم البعض ليلقون بنظرة على · ووجدت نفسى فوق ما يشبه المحفة مرفوعا فوق أكتاف حمالين لهم أذرع قوية ، وهكذا حملت فوق الحشد نحو الغرف التى أعدوها لى فى القمر · وكان كل من حولى

عيون ووجوه وأقنعـه وضوضـــــاء مثل حفيف أجنحـة الخنافس ، وأصوات لغو أهل القمر ٠٠ !

وفهمنا أنه أصبح سجينا لبعض الوقت ، ثم أعطوه، فيما بعد ، مزيدا من الحرية ، وعين المخـلوق الغامض الذى هو حاكم القمر اثنين من القمريين ذوى رأسـين كبيرين لحراسته ودراسته ، ولمحـــاولة التفاهم معه ٠ والمدهش ، كما قد يبدو ، ان هذين المخلوقين ، هـذين الكائنين المنتميين لعالم آخر ، كانا يتفاهمان مع كافور بواسطة لغة أرضية ٠

وسماهما كافور « فى ــ أوو » و « تسى ــ بف »٠ كان « فى ــ أوو » مخلوقا له رأس كبير جدا وجســم قزم ٠ وكان « تسى ــ بف » حشرة مشابهة ولكن وجهه طويل بشكل شاذ ، ولم يكن رأسه مستديرا ، بل فى شكل الكمثرى ٠

جاء هذان المخلوقان الى كهف كافور وبدءا يقلدان كل صوت يصدر منه ٠ ويبدو أنه قد أدرك مقصدهـــما بسرعة فبدأ يكرر الألفاظ لهما ويقوم بحركات واشارات تدل على معناها ٠ فينصت « فى ــ أوو » الى كافـور

لبعض الوقت ، ثم يقوم أيضا بحركات واشارات ويقول الكلمة التى قد سمعها ·

وأول كلمة تعلمها كانت « رجـــل » والثانيـــة « قمرى » ·· التى يبدو أن كافور قد ابتكرها قاصدا بها ساكن القمر · وعندما يتأكد « فى ــ أوو » من معنى الكلمة يكررها له « تسى ــ بف » ، الذى يتذكرها بدون أى خطأ · وفى الدرس الأول تمكنا من اتقان مائة كلمة باللغة الانجليزية · وأحضرا ، فيما بعد ، فنانا معهمـــا ليساعد فى عملية الشرح بالرسم ·· حيث أن رسم كافور كانت فجا لا يصلح ·

ويقول كافور :

ــ ولم يستغرق الأمر الا أياما قليلة وبعدها كنت أتكلم بالفعل مع هذه الحشرات القمرية · بالطبع ، كانت فى البداية عملية تفاهم متعبة ومحدودة ، ولكن بدأنـــا التفاهم بالتدريج وبسهولة مع بعضنا البعض · وأصبـــح من المذهل حقا سماع هذه المخلوقات الغريبة وهى تتكلم بلغة أرضية فى صوت يشبه صوت المزمار ··· تسأل أسئلة وتعطى أجوبة ···



كانا يتفاهمان مع كافور بلغة أرضية !

وأثناء استمرار هذه التمارين اللغوية يبدو أن كافور كان مستمتعا بحرية أكبر · وهكذا استطاع اقامة جهازه الارسالى ، وبث رسائله الى الأرض · ولم يتدخل أحد على الاطلاق فى ايقاف محاولاته بالرغم من أنه أوضح ل « فى ـ أوو » انه يبث باشارات للأرض ·

وفيما يلى مقتطفات مأخوذة من الرسائل التاسعة والثالثة عشرة والسادسة عشرة · وهى تعطينا فكرة عن الحياة الاجتماعية لأهل القمر ·

يقول كافور :

ـ يعرف كل مواطن فى القمر مكانه فى النظام الاجتماعى · فهو مولود لهذا المكان ، وبالتدريب الدقيق اليقظ والعمليات الجراحية المتقنة يصبح لائقا لهذا المكان · فاذا كان واحد منهم ، على سبيل المثال ، يريد أن يكون متخصصا فى الرياضيات ، فيعده مدرسوه ومدربوه لهذا الغرض على الفور ، فيشجعون قدراته الرياضية والحسابية ويثبطون أية اهتمامات أخرى قد تكون عنده · فيزداد عقله نموا باستمرار ويكبر ، بينما تجف أطرافه وتنكمش ، وهكذا يصل الى ما يصبو اليه ·

وإذا كان القمرى ينـــوى مثلا ، أن يصبح راعى عجول ، فيقومون بتدريبه ليصبح عفيا نشيطا ، ليحصل على متعته ومراسه فى رعاية العجـــول القمريـة ، وفى النهاية لا يجد عنده أى اهتمام فى شئون الجزء الأعمـق من القمر ، ويحب عمله ويجد السعادة فى أداء واجبـــه باتقان ...

ويشكل هؤلاء المخلوقات ذات الرؤوس الـكبيرة نوعا من الطبقة الارستقراطية فى هذا المجتمع الغـريب ، وعلى رأسهم « القمرى الأكبر » ، الذى سوف أمثل فى النهاية أمامه . والذى يجعل نمو العقول غير محـــدود لهذه الطبقة هو عدم وجود جمجمة عظمية .

ومع ذلك ، فمعظم هذه الحشرات تعتبر من الطبقة العاملة ، منها التى ، على ما أظن ، تقرع الأجراس ، ولها آذان ضخمة جدا ، ومنها من تشتغل بالكيمياء فلها أنوف كبيرة هائلة ، وأخرى كما قيل لى تعمل فى نفخ الزجاج، فلا يبدو منها الا الرئتين . ولكن كل واحد من هؤلاء القمريين الذين يعتبرون من عامة الشعب رأيته فى عمله مهيئا بشكل مذهل ، لتحقيق الحاجة الاجتماعية .ويقوم

بالاعمال الفنية والدقيقة عمال صغار ، أقـــزام ونظـاف بشكل مدهش ، بعضهم استطعت أن أضعه على كف يدى • ويسيطر على هؤلاء العمال أقوى مخلوقات رأيتها فى القمر ، نوع من الشرطة القمرية •

وأحيانا يأخذنى طريقى حول تجويف ظليل مزدحم جدا ومليىء بالضوضاء ، وهنا أرى أمهات عالم القمـــر متطلعات من شىء يشبه خلية النحل •• هـذه الأمهات مثل ملكات النحل فى الخلية • انهن مخلوقات نبيـــلات المظهر متزينات بأحلى الزخارف ولهن رؤوس صغيرة •• انهن غير قادرات تماما على تربية أطفالهن ، ولذلـك ، ينقل الصغار فى أسرع وقت ممكن تحت رعاية انـــاث غير متزوجات ، نساء « عامــــلات » ، لديهن فى بعض الحالات عقول كبيرة مثل تلك التى لدى الذكور •

وللأسف ، توقفت الرسالة عند هـــذا الحـد • وتعطينا هذه المعلومات غير الكاملة فى هذا الفصل فكرة مشوشة عن عالم مدهش وغريب فى نفس الوقت ••• عالم لا ندرى كيف وبأى سرعة يجب أن يتعامل معه عالمنا الأرضى !

الفصل الثاني والعشرون

القمرى الأكبر !

وتصف الرسالة قبل الأخيرة بالتفصيل اللقاء بين كافور و « القمرى الأكبر » وهو حاكم القمر . ويبدو أن كافور قد أرسل معظمها دون أى تداخل أو تشويش ، ولكنها انقطعت فى الجزء الأخير ، **وتمضى هكذا :**

ـ ازداد التزاحم شدة عندما اقتربنا من قصر القمرى الأكبر .. اذا سميت سلبسلة من الكهف قصرا . حملونى فى محفة واصطحبنى حشد كبير .

سار فى المقدمة أربعة مخلوقات لها أوجه تشبه الأبواق تصدر زعيقا مخيفا ، ثم جاء الحجاب ، واصطف

على الجانبين جماعة من الأدمغة العالمة التى ، كما فسر لى « فى ـ أوو » فيما بعد لتساعد القمرى الأكبر على فهم ما أقول . ثم جاء « فى ـ أوو » و « تسى ـ بف » كل فوق محفة ، ثم أنا نفسى فوق محفة أكثر فخامة وروعة . ثم جاء قمريون عديدون بأدمغة كبيرة كان عملهم ينحصر فى ملاحظة وتذكر كل تفصيل من تفاصيل هذه المقابلة الهامة . واصطف الطريق بالضباط وخلف صفوفهم تمتد رؤوس الجماهير المحتشدة حتى مرمى البصر .

ونزلنا فى اتجاه عمودى حلزونى لبعض الوقت ثم مررنا على سلسلة من القاعات الضخمة المزينة بشكل جميل . وكان كل تجويف ندخله يبدو أكبر من سابقه .

ولا بد أن أعترف أن كل هذه الجماهير جعلتنى أشعر بتفاهة أمرى وحقارتى . كنت اشعث أغبر طويل اللحية ، فعلى الأرض كنت أميل دائما لاحتقار أى اهتمام زائد لمظهرى الشخصى فيما عدا النظافة الصحية السليمة . ولكنى هنا فى القمر ، أمثل كوكبى وجنسى ، فكنت أتمنى أن يكون مظهرى أكثر وقارا عما ارتديه من رث

الثياب . كنت ارتدى سترة صوفية خفيفة وبنطلونا اسطوانيا (ممزقا عند الركبتين) ، وبطانية تنفذ رأسى من ثقب فيها . اننى مدرك تماما مدى الظلم الذى أداه مظهرى للانسانية ، ولكننى لم أستطع أن افعل شيئا لتحسينه .

تخيل أكبر قاعة كنت فيها مضاءة بنور أزرق باهت .. وتخيل هذه القاعة تؤدى الى قاعة أكبر وأكبر ، وأخيرا ترى درجات عديدة من سلم مرتفع نهايته تكاد لا ترى . وجلس فى أعلى هذا السلم « القمرى الأكبر » معتليا عرشه .

كان يجلس فى وهج من الضوء الأزرق ويصل قطر دماغه الى عدة أمتار . وتتألق العديد من الأضواء الكاشفة من خلف عرشه ، كما احاطت به هالة قمرية فى التو والحال ويعينه عدد من المساعدين . كما يجلس مستشاره من تحته فى نصف دائرة ، بينما يقف الحرس على طول سلالم العرش التى لا حصر لها وفى اسفلها جمهور غفير من رجال الحاشية .

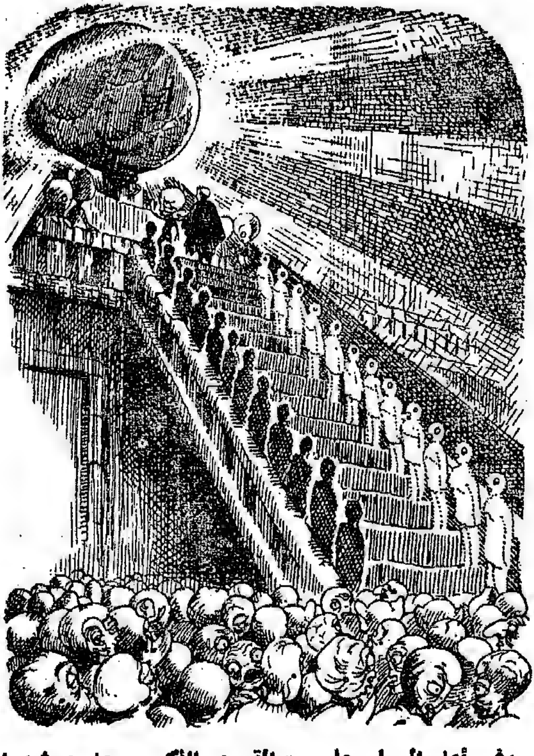
وعندما دخلت القاعة قبل انتهاء الموسيقى الرائعة وزوال صرخات مذيعي الاخبار ..

دخلت آخر القاعات وأكبرها ...

انفرج موكبي مثل مروحة اليد ، وذهب حجابي وحراسي يمينا ويسارا .. واستمرت مسيرة حاملي المحفات الثلاث لفي ـ أوو وتسي . بف ولي الى طريق السلم السفلي ، وترجل القمريان ولكني أمرت أن أبقى قابعا فوق محفتي . وكانت عشرة آلاف رأس خاشعة في احترام متجهة نحو سيد القمر العظيم .

وفي البداية بدا هذا الدماغ الذي يتسم بالصفاء والكمال مثل بالونة ذات حركات ملتوية باهتة يمكن رؤية ما بداخلها ، ثم يرى المرء تحتها وفوق حافة العرش مباشرة عينين صغيرتين جدا تتطلعان دون أن يكون هناك وجه .. ثم تبينت جسما قزميا صغيرا وأطرافا متقلصة . وحملقت العينان الى أسفل نحوى في حدة غريبة ..

كان ذلك شيئا عظيما ، شيئا يستدر العطف .



وفى أعلى السلم جلس « القمرى الأكبر » على عرشه !

ونسيت القاعه والزحام . وصعدت السلم . وكــــان المساعدون مشغولين برش الدمـــاغ الكبير برزاز بـارد منعش ويسندونها من حين لآخر . أما بالنسبة لى فقـد جلست قابضا على محفتى ومحدقا فى «القمرى الأكبر» ، غير قادر على اشاحة بصرى عنه . وأخيرا ، عندما وصلت الى بسطة الدرج التى تبعد حـوالى عشر سلــمات من العرش توقفت الموسيقى ، وشعرت بعينى « القمــرى الأكبر » مسلطة على .. لقد كنت أول انسان يقع بصره عليه . وانتابنى رعب غير معقول .. !

وساعـــدونى على النزول من محفتى ، ووقـــفت مرتبكا . وظهرت الأدمغة العالمة التى أصطحبتنى لمدخـل القاعة الأخيرة فوقى بدرجتين وعن يسارى وعن يمينى . ووقـــف « فى ـ أوو » فى منتصف الطريق للعرش ، واتخذ « تسى ـ بف » مكانا خلفه .

وبدأت أتبين صوتا خافتا ـ كان « القمرى الأكبر» يخاطبنى وكان صوته يشبه احتكاك اصبع فوق لوح زجاجى .

وراقبته بانتباه لبرهة من الزمن ، ثم تطلعت الى « فى ـ أوو » اليقظ الذى فكر مليا ،ثم استشار « تسى ـ بف » ، **ثم بدأ يقول باللغة الانجليزية وبصوت كالمزمار :**

ـ « القمرى الأكبر » يريد أن يقول أنك رجل ٠٠ آدمى من كوكب الأرض ٠٠

انه يرحب بك ويتمنى أن يعرف حال عالمك ، وسبب مجيئك الى هنا ٠

كنت على وشك أن أجيب عندما أستأنف كلامه وقال لى « تسى ـ بف » أن « القمرى الأكبر » يعرف من علمائه الفلكيين أن هواءنا وبحرنا يقعان خارج الكرة الأرضية ، ويعلم أننا نعيش فوق سطح الأرض ٠ وكان متطلعا ليعرف المزيد من التفاصيل لهذه الحالة الشاذة من الأوضاع ٠ وبدا عليه الاندهاش لعدم تأثر أعيننا من ضوء الشمس القوية ، وكان مهتما عند محاولتى تفسير أن السماء قد خففت من وهج النور الذى حولته الى لون أزرق عبر انكسار الهواء ٠ وشرحت كيف تنكمش

عين الانسان عندما يكون النور قويا جدا ، وسمح لى أن أقترب منه على بعد بضعة أقدام فقط حتى يمكن فحص عيني ·

وسأل « القمرى الأكبر » كيف نحمى أنفسنا من الحرارة والعواصف ، وشرحت له فنون المعمار والبناء · ووجدت صعوبة لجعله يفهم معنى بيت · لا بد أنني ظهرت أمامه بمظهر غريب ، عندما قلت أن الآدميين يجب أن يشيدوا بيوتا بينما هم يجب عليهم أن ينزلوا داخل كهوف ، وسألى ماذا فعلنا بالجزء الداخلى من كرتنا الأرضية ·

عمت القاعة الكبرى سيول من التغاريد والتزمير عندما أوضحت أخيرا أننا نحن الأدميون لا نعلم شيئا مطلقا عن باطن العالم الذى نعيش عليه · وكان على أن أكرر ثلاث مرات أن علم البشر يمتد الى عمق ميل واحد فقط ، وبشكل مبهم جدا ، من مسافة ٤٠٠٠ ميل ، التى ما بين سطح الأرض ومركزها · وفهمت لماذا يسأل « القمرى الأكبر » عن السبب فى حضورى الى القمر مع العلم بأننا لا نعرف الكثير عن كوكبنا بعد ·

ثم استفسر عـــن الطقس على الأرض ، وسأل اذا كان جونا يتجمد في الليل ، فاخبرته ان البرودة لا تصل لهذه الدرجة مطلقا ، لأن ليالينا قصيرة جدا • ومن ذلك انتقل « القمرى الأكبر » الى الحديث معى عن النوم ، فهم على القمر يستريحون فترات قصيرة فقط ، وبعد عمـل شاق للغاية • ثم وصفت له ليالى الصيف العليلة الجميلة، ومن ذلك انتقلت الى وصف تلك الحيوانات التى تجوس بالليل وتنام بالنهار • ولم يستطع أن يفهم ذلك لأنـــه لا توجد على القمر حيوانات متوحشة •

وتحدث مع مساعديه ، على ما أظن ، عن حماقـة الانسان ، الذى يعيش على مجرد القشرة الخارجية لعالم معرض للأمواج والرياح وكل التغيرات الجوية ، والذى لا يقدر حتى على أن يتحد ليتغلب على الوحوش التى تفترس جنسه ، ومع ذلك يتجاسر ويغزو كوكبا آخر •

ثم أخبرته ، بناء على رغبته ، عن الأنواع البشرية المختلفة •

وهنا سالنى اسئلة كثيرة :

ـ ولجميع أنواع العمل لديـــكم نفس النوع من الجنس البشرى !! ولكن من يقوم بالتفكير ؟ بالتخطيط ؟ من يحكم ؟

وأعطيته نبذة عن النظام الديموقراطى • وعندمـا انتهيت أمر مساعديه برش الرزاز المبرد المنعش فـــوق جبينه ، ثم طلب منى بعد ذلك أن أعيد شرحى خشية أن يكون قد أساء فهمى •

فأخبرته أن البعض كانوا مفكرين والبعض موظفين، وغيرهم كانوا صيادين ، وغيرهم كانـــوا ميكانيكيين ، والبعض فنانين ، وغيرهم عمال • ولكن الجميع يحكم •

فسألنى مرة أخرى :

ـ ولكن أليس لهم أشكال مختلفة ليتلاءموا مـــع واجباتهم المختلفة ؟

فقلت :

ـ لا ، ليس كما ترى هنا ، فيما عدا ربما بالنسبه

للملبس ، فهم يختلفون فى الملبس كما أن عقولهم تختلف عن بعضها قليلا ..

فقال « القمرى الأكبر » :

ـ يجب أن تختلف عقولهم اختلافا عظيمـــــا ، والا فانهم سيفعلون نفس الأشياء .

فقلت بأنه على صواب ، وأن عقول البشر وأرواحهم مختلفة ومتفردة مثل أهل القمر .

فقاطعنى ليذكرنى بما قلته من قبل ، **وقال بالحاح :**

ـ ولكنك قلت ان كل البشر يحكمون !

فقلت :

ـ الى حد ما .

فسأل :

ـ هل تقصد أنه لا يوجد « أرضى أكبر » ؟!

فأكدت له بأنه لم يكن يوجد أحد بهذا الشكل وشرحت له أن مثل هؤلاء الأباطرة كما جربنا على الأرض

قد انتهوا عادة الى الخمر والرذيلة والعنف ، وأننا لم نعد ننوى محاولة من هذا النوع من الحكم مرة أخرى ٠ وازدادت دهشة « القمرى الأكبر » عند سماع ذلك ٠

ثم سأل :

ـ ولكن كيف تحافظون على هذه الحكمة التى لديكم ؟

وشرحت له الطريقة التى ساعدنا بها ادمغتنا المحدودة بالكتب والمكتبات ، وكيف أن علمنا كان ينمو بالجهود المشتركة للعلماء ٠ وقال انه من الواضح أننا تحكمنا فى أمور كثيرة بالرغم من همجيتنا الاجتماعية ، والا ما إستطعنا القدوم للقمر ٠

ثم طلب منى أن أصف له كيف كنا نسير ونتجول فى كرتنا الأرضية ، ووصفت له السكك الحديدية والسفن ٠ واندهش لسماع أننا استخدمنا البخار منذ مائة عام فقط ٠ ولكن كانت دهشته أعظم عندما علم أننا لازلنا غير متحدين تحت حكومة واحدة ٠ ولقد تأثر بشكل كبير بسبب حماقة البشر فى التعلق بعائق

اللغات المختلفة • ثم سألنى العديد من الأسئلة بخصوص الحرب •

كان متحيرا فى البداية وعاجزا عن تصـــديق ما أخبرته به •

وسألنى :

ـ هل تقصد أن تقول أنكم تتنقلون من مكان الى مكان فوق سطح عالمكم •• هذا العالم الذى بدأتم بالكاد فى كشف ثرواته •• لتقتلون بعضكم بعضـا من أجـــل بهائم تأكلونها ؟

فقلت له أن ذلك هو ما كان يحدث •

فسأل فى دقائق وتفاصيل لتساعد تخيله مثل :

ـ ولكن ألا تصاب سفنكم ومدنكم المسكينة ؟

ووجدت أنه تأثر جدا بضياع الملكية والراحة والأمن بنفس التأثر ازاء القتل ، وقال « **القمرى الأكبر** » :

ـ زدنى قولا ، اجعـــلنى أرى صـــورا • اننى لا استطيع أن أتخيل هذه الأمور •

وهكذا أخذت أقص عليه قصة الحروب الأرضية ، فأخبرته عن المعارك والغزوات والحصار ، وعن التضور جوعا وعذاب الخنادق وكل آلام الحرب ٠ ولم يستطع « القمرى الأكبر » تصديق ما سمعه وعندما تحدثت عن الرجال الذين يهتفون ويفرحون بذهابهم الى المعارك قال :

ـ لكنهم لا يحبونها بكل تأكيد !

فأكدت له أن الرجال تعتبر المعارك الحربية أعظم التجارب تمجيدا فى الحياة ، واندهش الحاضرون جميعهم لذلك ، وسأل « **القمرى الأكبر** » :

ـ ولكن ما الفائدة من هذه الحروب ؟

فقلت :

ـ أوه ! بالنسبة للفائدة فهى تخفف من حدة السكان !

فقال :

ـ ولكن لماذا توجد حاجة ٠٠٠ ؟

(وانقطعت الرسالة عند هـــذه النقطة وظهرت ذبذبات توحي بأن في القمر شخص ما يحاول عن عمد جعل رسالة كافور لا تقرأ . ثم توقف الانقطاع فجأة وترك بعض الكلمات واضحة ، وبعدها عادت من جديد واستمرت الى بقية الرسالة . وتبدأ آخر قطعة من وصفه للقمري الأكبر في منتصف جملة) .

ــ استجوبني بدقة شديدة عن سري . واستطعت بعد وقت بسيط أن افهم كيف أنهم هـــم انفسهم لم يكتشفوا مطلقا المادة الكافورية . وعرفت أنهم علموا بها نظريا ، ولكنهم اعتبروها دائما مستحيلة عمليا ، لأنـــه لا يوجد عنصر الهيليوم في القمر ، وعنصر الهيليوم ...

(وهنا انقطعت الرسالة مرة أخرى ، وبقيتها من المستحيل قراءته) .

الفصل الثالث والعشرون

رسالة كافور الأخيرة

وبهذه الطريقة غير المرضية انتهت رسالة كافور قبل الأخيرة .. يمكن أن أتخيله بعيدا هناك في العتمة الزرقاء وسط أجهزته محاولا ارسال اشاراته لنا حتى النهاية ، وهو غير مدرك بانقطاع رسائله ، ولا بالأخطار النهائية الزاحفة عليه . لقد تكلم عن الحرب ، لقد تكلم عن العنف وحماقة البشر ، ثم اعتقد أنه قام باعترافه الحاسم على انه الوحيد الذي يعرف كيف يصنع مادة الكافوريت .. ثم لا بد أنه أدرك حماقة قيامه بمثل هذا الاعتراف . واني أميل للاعتقاد بأن « القمرى الأكبر »

كان يفكر لفترة من الزمن فيما يجب عليه أن يفعله ، وطوال هذا الوقت لعل كافور كان حرا طليقا · ولكن عقبات من نوع ما اعاقته من استخدام جهاز ارساله مرة أخرى بعد تلك الرسالة التي ذكرتها آنفا · ولم نستقبل شيئا لبضة أيام ·

وبعدها وبشـــكل مفاجيء ، كصرخة في منتصف الليل جاءت الرسالة الأخيرة · وتحتوى فقط عـــلى بداية متكسرة لجملتين ·

وكانت الأولى :

ـ كنت محنونا أن أدع « القمرى الأكبر » يعرف ··

ثم استراحة ربما لمدة دقيقة واحدة · أتصور بسبب اعاقة من الخار ج·· مغادرة جهاز الارسال ··· عـودة مفاجئة اليه ، عزيمة كاملة جاءت بعد أوانها ، ثم جاءت رسالة وكانها ارسلت باستعجال :

ـ المادة الكافورية مصنوعة كالآتي : خذ ·····

ثم أعقبها كلمة لا معنى لها : لا فائد ····

لعله قام بمحاولة عاجلة لكتابة كلمة « لا فائدة » عندما أطبق قدره عليه · ولا نستطيع أن نخمن ما كان يحدث حول ذلك الجهاز · ومهما كان ذلك ، فأعرف اننا لن نستقبل رسالة أخرى من كافور · أستطيع أن أتخيله وهو يقاوم سيطرة تلك الحشرات القمرية ، يقاوم بمزيد من اليأس كلما أزادوا الضغط عليه ، واجباره علــى الرجوع خطوة خطوة الى المجهول ·· داخل العتمة ، داخل ذلك السكون الذى لا نهاية له ·

الفهرس

رقم الإيداع ١٥٢٤٧ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977-01-8104- 8

مطابع

الهيئة المصرية العامة للكتاب



لقـــد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عـادة القـراءة، وحب المعرفـة، وأن المعـرفـة وسيلتها الأساسية هى الكتــاب، وأن الحق في القــراءة يماثل تمامـاً الحق فى التعليم والحق فى الصحــة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

١٠٠
قـرش